وزارة التـــــعليم الـــعالي والبـــحث العـــلمي
جامعة 08 مـــــاي 1945
قالـــــمة

كلـــية الـــعلوم الإنـــسانية والاجـــتماعية
قسم التـــاريخ والآثـــار
التخصص: التاريخ العام

مذكـــــرة مقـدمـــة لـــنيل شـــهادة الماستـــر في التـــاريخ العام بعنوان :

العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي من "1235-1554م"

إعداد الطالبة :
عبلة بصيود

إشراف الأستاذ :
عبد الكريم قرين

لـــــجنة المـــناقشـــــة:

الأســـــــتاذ	الرتـــــــبة	الصـــــــفة	الجامـــــــعة
النوي بن مبروك	استاذ مساعد أ	رئيـــــــسا	جامعة08ماي 1945م قالمة
عبد الكريم قرين	استاذ مساعد أ	مـــــشرفا ومقررا	جامعة08ماي 1945م قالمة
الحواس غربي	استاذ مساعد أ	عضوا مناقـــــشا	جامعة08ماي 1945م قالمة

السـنة الجامعية: 2015/2014 م- 1436/1435هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

"قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما

علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم".

صدق الله العظيم

سورة البقرة

الآية "31".

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

كل من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا.

إلى شهداء هذا الوطن الذين ضحوا بالنفس و النفيس من أجل عزة وكرامة الجزائر.

إلى التي قال فيها الله سبحانه و تعالى :"..... حملته أمه وهنا على وهن و فصاله في عامين....."الاية14 سورة لقمان.وأوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:" ....أمك ثم أمك ثم أمك....." إلى قرة عيني التي غمرتني بحنانها و تعبت لراحتي، إلى رمز الحب و بلسم الشفاء، إلى من أرضعتني الحب و الحنان أمي الحنون "صليحة" أطال الله عمرها.

إلى من علمني أن الطموح أساس النجاح، إلى نور عيني و ضياء قلبي أبي الغالي" أحمد" أطال الله عمره.

إلى أخواتي وأحبتي ليندة وزوجها مراد و أبنائهما براعم المنزل تقى وإسلام،إلى نورة وعائلتها،إلى دليلة وعائلتها،وإلى أختي الحنونة والصغرى خولة.

إلى إخوتي وسندي في الحياة عمار، وياسين وابنه ادم عبد الإله.

إلى خالتي الحبيبة شريفة وعائلتها.

إلى صديقاتي الأحباء نبيلة ،إيمان ، فطيمة ، وفاء ، صليحة ، أميرة ، فاطمة، حنان، أسماء ، شافية، سارة،هدى ،سلمى،إيمان،بيبة.

إلى كل زملائي بالدراسة خاصة دفعة 2015/2014م .

عبلة

شكر و تقدير

أشكر الله تعالى وأحمده على توفيقي في إتمام هذا العمل.

وأتقدم بخالص الشكر إلى أستاذي و مشرفي الفاضل" عبد الكريم قرين" على إشرافه على هذا البحث وعلى توجيهاته و نصائحه القيمة فله مني كل التقدير و الاحترام.

كما أتقدم أيضا بخالص الشكر للأستاذ"غربي الحواس"الذي ساعدني ووجهني في هذا العمل.

وأشكر كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل.

و في الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل أساتذتي من السنة أولى ابتدائي إلى السنة الثانية ماستر،الذين كان لهم الفضل الكبير في إيصالي لهذه الدرجة العلمية ،وأخص بالذكر كل أساتذة ودكاترة قسم التاريخ و الآثار لجامعة 08 ماي 1945م بقالمة.

عبلة

المقدمة

لم تكن علاقات المغرب الأوسط، بإفريقيا جنـوب الصحراء علاقـات حديثة النشأة ، وإنما هي علاقات لها جذور عميقة في التاريخ ، و قد تعود إلى نهاية القرن السابع قبل الميـلاد لكن بعد إنهيار قرطاجة تحت ضربات الرومان عام 146 قبل الميلاد ، انقطعت المواصلات بين جنوب الصحراء الكبرى و شمالها ، و بالتالي دخلت شعوب إفريقيا السوداء فـي مـرحلة العزلـة والنسيان و يقول " دنيس بلوم " بأنه بعد هـــذه المـدة الطويلة من العزلـة و الوحدة التي عاشتها إفريقيا السوداء، فان أهم حدث في تاريخها كان الفتح الإسـلامي لها.

إذن فان اتصال العرب و المسلمين المغاربة بشعوب الصحراء و ما وراءها من بلاد السودان الغربي، و الذي بدأ مع انتشار الإسلام في المنطقة منذ القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد، قادما إليها من بلاد المغرب ، كان بمثابة إعادة إنعاش للشعوب السودانية.

لقد حمل المسلمون من العرب و البربر، الدين الإسلامي إلى أصقاع إفريقيا الغربية عن طريق الرحلات التجارية ، و الدعوة السلمية ، و كان للمرابطين دور كبير في ذلك وعلا نجم الإسلام بظهور الممالك الإسلامية، التي أنشأت مجدا حضاريا ، ظل محل فخر الأفارقة و إعجاب العرب.

ومن الدريلات الإسلامية التي أعطت أهمية كبرى لعلاقاتها مع السودان الغربي الدولة الزيانية التي كانت حلقة وصل ومن أهم المراكز التجارية خلال العصر الوسيط وكان ذلك ناتج عن إزدهار تجارتها الداخلية، ووقوعها على رصيف الداخل والخارج للمشرق والمغرب والجنوب، وغيرها من العوامل التي سنفصلها في عرض هذا البحث.

تكمن أهمية هذا الموضوع :

– في انه يتناول العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي خلال العصر الوسيط، و هو يسلط الأضواء على تلاقي المنطقتين العربية و الإفريقية اقتصاديا في ذلك الوقت ، و يفتح المجال واسعا للوقوف على الإنجازات و العلاقات و المبادئ المشتركة و تحليل طبيعة هذه الصلات،كما يصور البحث الوضع الاقتصادي و مدى حيويته

و نشاطه و ازدهاره حتى في أصعب الظروف التي مرت بها الدولة الزيانية وخاصة فترة صراعاتها مع الحفصيين والمرنيين .

كما يعرفنا هذا البحث على طرق التجارة و الرحلات، التي كانت تسلك خلال العصر الوسيط.

و من أهداف هذه الدراسة ، ما يرجع أساسا إلى طبيعة الموضوع ، فالتطرق إلى هـذا الموضوع ، يعتبر من صميم علم التاريخ الحديث ، الذي يمكننا الرجوع إليه، بمثابة محاولة لبناء علاقات جديدة مع دول الجوار التي تقع على الجنوب، على أسس متينة كما قام بها التجار و العلماء السابقون ، و التي بالإمكان أن تعود على الجميع بفائدة كبيرة ، تمكننا من الازدهار و التطور و النمو، بعيدا عن الطامعين .

و إن التوصل إلى إبراز حقيقة هذه العلاقة، و تحليل طبيعة الأوضاع الإقتصادية في الفترة المدروسة، لا يمكن شرحه إلا بدراسة شاملة لكل الجوانب التجارية التي ميزت المنطقتين.

أما عن سبب اختياري لهذا الموضوع بالتحديد فهو:

1- أنه من خلال اطلاعنا على مختلف الدراسات و البحوث توصلنا إلى قلة الدراسات العلمية المتخصصة في إفريقيا و خاصة دراسة العلاقات بين المغرب الأوسط و السودان الغربي، ناهيك عن الدولة الزيانية ، و دورها في تطور تلك العلاقات.

لقد خضع المغرب الأوسط للدولة الزيانية في الفترة الأخيرة من العصر الوسيط و هي فترة جمعت بين التقاليد التجارية التي كانت معروفة في القديم و بين ظهور بوادر خاصة تجارية حديثة ، سواء في المجال البري أو البحري ، و عرفت منطقة السودان الغربي نفس الظروف تقريبا ،وهذا ما دفعنا لطرح الإشكالية التالية:

ما واقع العلاقات و المعاملات التجارية بين الدولة الزيانية و السودان الغربي ،خلال العصر الوسيط ؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالية وضعنا عدة تساؤلات أهمها:

- كيف كانت التجارة في الدولة الزيانية والسودان الغربي ؟.
- متى حدث الاتصال التجاري بين المنطقتين ؟.
- ماهي أبرز المسالك و المراكز التجارية ؟.
- ماهي أهم السلع المتبادلة بين المنطقتين ؟. و كيف كانت تتم العملية التجارية؟.

و في الأخير ماهي أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار وتطور التجارة بين الدولة الزيانية والسودان الغربي ؟.

ولقد حددت الفترة الزمنية للدراسة ما بين633 - 962هـ، 1235 -1554 م حيث تمثل هذه الفترة فترة بداية و نهاية الدولة الزيانية ، التي حكمت المغرب الأوسط طيلة ثلاث قرون كما تمثل هذه الفترة أيضا،فترة بروز ممالك وإمبراطوريات السودان الغربي الكبيرة كإمبراطورية مالي ومملكة السنغاي و أيضا مملكة الكانم و البرنو .

أما فيما يخص الإطار المكاني ، فهو حدود الدولة الزيانية أثناء جميع فتراتها التاريخية و السودان الغربي، أي إفريقيا الغربية حاليا ، و التي كانت تضم في العصور الوسطى مدن نهري النيجر و السنغال .

و لأن كل دراسة علمية تتطلب مناهج علمية، فرضت علي طبيعة الموضوع ثلاثة مناهج هي:

1- المنهج التاريخي الوصفي :في وصف و تقرير المعطيات التاريخية ، و تحليل الوقائع و مناقشتها،كما اعتمدنا هذا المنهج أيضا لوصف المعلومات التاريخية بكل موضوعية و وصف الحدث و تحليله و شرحه مع تحديد أهميته و دوره .

2- كما اعتمدنا أيضا المنهج التحليلي النقدي:وهذا لتحليل بعض الحقائق ونقد بعض المعلومات فيها اعتمادا على مصادر أخرى.

3- وأيضا اعتمدنا المنهج المقارن: وهذا بتوظيفه أثناء تعرضنا، لمختلف المناطق و دورها في اختلاف السلع، و أسعارها، من منطقة لأخرى.

ولدراسة هذا الموضوع دراسة موضوعية و منهجية، قمت بوضع خطة مكونة من مقدمة و أربعة فصول و خاتمة وقائمة المصادر و المراجع بالإضافة إلى قائمة للملاحق و فهرس المحتوى العام.

الفصل الأول: قمنا فيه بالتعرض إلى تحديد مفاهيم الدراسة ،من خلال الحديث عن أصل الزيانيين ونشأة دولتهم ومؤسسها وحدودها ثم عرفنا بالسودان الغربي حيث تطرقت إلى التسمية التاريخية والموقع الجغرافي، ثم تطرقت إلى أهم الممالك والإمبراطوريات التي ظهرت فيه محددا موقعها و امتداداتها الجغرافية، كما بينت دور الإسلام من خلال انتشاره في السودان الغربي وإ لحاقه بالعالم الإسلامي، مبرزا دور التجار والمرابطين في ذلك.

الفصل الثاني: في بدايته حاولنا الحديث عن واقع التجارة والتجار في الدولة الزيانية والسودان الغربي ، وحاولت من خلال الفصل الرجوع إلى جذور هذه العلاقات وامتدادها في التاريخ، منذ فترة ما قبل الإسلام، ثم صورت فيه الحواجز و العراقيل التي كان يكابدها التجار في تلك القفار الوعرة،ووضعنا لها طرق مختلفة لمواجهتها ،ولقد وضحت خلال هذا الفصل أيضا دوركل من المنطقتين في حركة التجار والسلع بين شمال الصحراء وجنوبها.

الفصل الثالث: وفيه حاولنا تبيان الدور الذي ساهمت به الطرق التجارية والمسالك الصحراوية في الحفاظ على استمرار تدفق القوافل التجارية، مع ذكر مراحلها، لأن الطريق كان طويل وشاق، كما شمل هذا الفصل أهم المراكز التجارية الزيانية والسودانية وأبرز المحطات ودورها في التقاء التجار وتجميع السلع، مما جعل منها أسواقا كبيرة بعد ما كانت مناطق مهجورة عديمة الحركة من قبل.

الفصل الرابع والأخير: تطرقت فيه إلى مظاهر تلك العلاقات التجارية، وقد عرفت بأهم السلع المتاجر بها بين المنطقتين من واردات سودانية و واردات زيا نية ووسائل التبادل

التجاري المختلفة من عملة ومقايضة وفي نهاية الفصول وضحت وبينت دور حكام وتجار الدولة الزيانية في ازدهار التجارة مع السودان الغربي،وأعطيت مثالا ببعض الملوك والعائلات التي ساهمت في ذلك.

أما الخاتمة: قد ختمت هذه الرسالة بخاتمة استخلصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

أما عن الملاحق: فقد وضعنا مجموعة من الخرائط التي توضح لنا أهم الممالك و أهم الطرق التجارية.

ولإنجاز هذه المذكرة و الإلمام بمختلف جوانبها كان لزاما علي جمع أكبر عدد قدر ممكن من المادة العلمية من المصادر و المراجع و الرسالات الجامعية والمقالات وغيرها ولعل من أهمها:

- كتاب **المقدمة** و كتاب العبر" **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"، الجزء السادس و السابع لابن خلد ون ت 808 هـ/ 1406 م و يتحدث في فصول عديدة عن الدولة الزيانية و السودان الغربي ، و عن التجار من المنطقتين بأسلوبه التاريخي المعهود، و خصص فصلا للتحدث عن بلاد السودان، و احتفظ بلائحة عن ملوك سالي.

- كتاب "**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان لصاحبه محمد بن عبد الله التنسي ت 899 هـ/ 1494 م**، و قد كتبه خصيصا للسلطان الزياني محمد المتوكل على الله اعترافا بفضله عليه، الذي استقينا منه بعض المعلومات التي تتكلم عن الحياة الاجتماعية و الأوضاع الاقتصادية للدولة الزيانية .

- و من المصادر الأخرى كتاب " **البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب** " و هو مقتبس من كتاب " **المسالك و الممالك** " لأبي عبيد الله البكري المتوفى عام487 هـ/ 1094 م ، و الذي يذكر فيه مواقع القبائل السودانية والمغربية, والمسافات بين المدن وأهم الطرق والمسالك كما يتطرق فيه إلى مملكة غانة و حركة المرابطين و دورها في بلاد السودان .

- كتاب "**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" ،لأبي زكريا يحي ابن خلدون ت 780هـ 1378 /م ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة التي أرخت للدولة الزيانية في عزها و اضمحلالها،وأشارت إلى الحياة الفكرية و أيضا الاقتصادية من خلال أسماء العلماء والأولياء و التجار الذين ساهموا في دفع النهضة الاجتماعية في الدولة الزيانية إلى الأمام، و كان قد كتبه للسلطان أبي موسى حمو الثاني تقربا منه، لعله يحظى بالمكانة و الجاه لدى السلطان774-775 هـ/ 1372 -1373م.

- كتاب " **فتوح افريقية و الأندلس**"لابن عبد الحكم المتوفى عام 214 هـ / 830 م كتاب " و هو من المصادر التي عاصرت البدايات الأولى للفتح الإسلامي في المغرب و بلاد السودان.

- أما بالنسبة لكتب الجغرافيين و الرحالة المسلمين، فهي كثيرة و قدمت لنا تفاصيل كثيرة و معلومات عديدة عن البلدان و مواقعها و سير شعوبها و عادتهم و سير ملوك السودان ، و رصدت لنا أهم الطرق و المسالك التجارية ، كما حملت لنا أخبار هامة جدا عن السودان الغربي و بلاد المغرب و من أهمها:

- كتاب" **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** " للإدريسي المتوفى في 560 هـ / 1160 م و خاصة الجزء الخاص بالأندلس و المغرب و السودان الذي حققه إسماعيل العربي الذي يحفل بمعلومات فريدة عن الصحراء و كيفية اجتياز القوافل لها ، كما يتضمن إشارات تاريخية هامة عن تلمسان و بلاد السودان.

- كتاب " **معجم البلدان** " لياقوت الحموي الذي كتبه أواخر القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد و هو عبارة عن قاموس جغرافي للاماكن و البلدان.

- وكتاب "**الجغرافيا**" لابن سعيد المغربي المتوفى ما بين673-675هـ/1274 و1276م.

- كتاب " **تحفة النظار في غرائب الأمصار** " لابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي توفي في779هـ- 1379 م، كان رحالة عصره ،سافر إلى بلاد السودان ، و أقام بمملكة مالي حوالي سنتين كما زار عددا من مدن المملكة ، و قد احتفظ لنا ابن بطوطة

في مذكرات رحلته بشهادة حية عن بلاط سلطان مالي و حياة المجتمع السوداني ، و لم ينسى إتحاف النظار بغرائب وعجائب بلاد السودان ، و أن نصوص ابن بطوطة ، لها قيمة قصوى بالنسبة لتاريخ بلاد السودان و تطرح العديد من القضايا و المشاكل يصعب الفصل فيها .

- كتاب " **وصف إفريقيا** " للحسن بن محمد الوزان الفاسي، الذي قام برحلته إلى السودان عام 917 هـ / 1511 م ، و الذي وفر لنا معلومات قيمة عن الحياة التجارية لكل من الدولة الزيانية و السودان الغربي ، و تزداد أهميته لكون صاحبه زار المنطقتين و لديه علم بالكثير من الأحداث ، و بالصلات بينهما ، و التقى برجال العلم ورجال التجارة.

- أما المصادر السودانية فقد اعتمدت على كتاب" **تاريخ الفتاش**" لمحمود كعت الذي كتبه عام 925 هـ/ 1519 م و هو كتاب غزير من حيث المعلومات ،و خاصة ما يتعلق بدولة السنغاي, و ملوكها و تاريخها السياسي و الاقتصادي و مشاهير الناس فيها.

- كتاب" **تاريخ السودان** " لعبد الرحمن السعدي،الذي كتبه عام1063 هـ/ 1653م وهو مصدر مهم للباحثين في تاريخ السودان و ممالكه،و فيه تركيز كبير على حكم الأسقيين.

هذا عن المصادر أما عن المراجع فنذكر منها:

- كتاب" **التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا في ما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر** "للهادي مبروك الدالي و قد زودنا بتعليقات كثيرة عن المخطوطات والرسائل والنصوص التي وجدها في السودان الغربي، واستفدنا خاصة أثناء كلامه وتحليله للجانب الاقتصادي والحركة التجارية و ثروات بلاد السودان الغربي.

- كتاب "**تاريخ الدولة الزيانية ، الأحوال الاقتصادية و الثقافية** "، الجزء الثاني،لحساني مختار الذي أفادنا كثيرا في معرفة أوضاع التجارة الداخلية في الدولة الزيانية، وزودنا بطبقات التجار فيها و أسواقها المختلفة.

- كتاب "**المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة**" لمحمد فاضل و سعيد إبراهيم كدية الذي يدرس تاريخ جغرافية غرب أفريقيا في العصور الوسطى من جميع الجوانب و أفادنا في الجانب السياسي و الاقتصادي كثيرا.

- كتاب "**تلمسان عاصمة المغرب الأوسط** " و الذي سهل لنا الأمر في التعريف بالدولة الزيانية إبراز أهم الأحداث التي وقعت فيها خلال نشأتها.

كما عدت إلى بعض المراجع باللغة الأجنبية هي:

-Chailly Marcel : Histoire de l'Afrique occidentale , Paris , 1968

-M, GR, AHACKUARD, monographie Tombouctou société des études , Coloniales et maritimes, paris ,1990

- أما عن الرسائل الجامعية فقد اعتمدت على :

- رسالة شعباني نور الدين " **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي و أثارها الحضارية بين القرنين4 -9هـ/10-15م**"و التي وجدت فيها فصلا مخصصا للعلاقات التجارية.

- رسالة غربي الحواس، "**لسيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591-1660م)**"

- رسالة خالدي مسعود، "**الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء،بين القرنيين الخامس و العاشر هجريين /الحادي عشر و السادس عشر ميلاديين**".

وهذا بالإضافة إلى اعتمادي على بعض المقالات و الدوريات و الموسوعات وغيرها.

أما من حيث الصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذه المذكرة , فنذكر منها :

- قلة المصادر و المراجع التي تتحدث عن تجارة الدولة الزيانية أو المغرب الأوسط مع السودان الغربي ، ما عدا ما وجدناه ما بين السطور في الكتب ، أو بعض الإشارات

الطفيفة في المقالات بالإضافة إلى ذلك، صعوبة حصولنا في بداية الأمر على المصادر و المراجع التي تعالج و تتحدث عن السودان الغربي خاصة في جامعتنا، وأيضا كثرة تكرار المعلومات في العديد من المراجع.

وفي الختام أرجوا أن أكون قد وفقت في هذه المذكرة ، فما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي، وأسأل الله التوفيق و النجاح في هذا العمل.

الفصل الأول

الدولة الزيانية والسودان الغربي دراسة جغرافية و بشرية

أولا : نشأة الدولة الزيانية

1- أصل بني عبد الواد

2- استقرارهم بتلمسان

3- يغمراسن وقيام الدولة الزيانية

4- حدود الدولة الزيانية

ثانيا: السودان الغربي

1- التسمية التاريخية

2- الموقع الجغرافي

ثالثا: انتشار الإسلام و قيام الممالك الإسلامية

1- انتشار الإسلام

2- قيام الإمبراطوريات الإسلامية

قبل التطرق إلى دراسة العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي ومعرفة طبيعتها وأهم العوامل المساهمة في تطوير هذه العلاقات، لابد أولا من دراسة كلا من المنطقتين دراسة تاريخية جغرافية طبيعية،وأيضا معرفة دور الإسلام من خلال انتشاره في السودان الغربي خاصة ،ووصوله إلى العالم الإسلامي عامة.

أولا: نشأة الدولة الزيانية:

لمعرفة تاريخ الدولة الزيانية و نشأتها، لا بد لنا من الإشارة إلى مؤسسها ودوره في قيام الدولة، محاولين معرفة حدودها وموقعها الجغرافي، الذي سنتعرف عن مدى أهميته عند التطرق إلى علاقتها التجارية بالسودان الغربي.

1- أصل بني عبد الواد:

تنسب الدولة الزيانية إلى بني عبد الواد، وهم فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناته، وهي أحد أكبر وأشهر القبائل البربرية ببلاد المغرب[1]، وينقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون ذكر منها ابن خلدون ستة هي:بنو ياتكين وبنو أواو وبنو رهط ونصوحة وبن تومرت وبنو القاسم[2]، والفرع الأخير هو الذي آلت إليه الرئاسة خلال عهد الموحدين[3]، ويتألف من عدة بطون ،مثل بني يكمثين، وعبدالحق بن منغفاد، وبني مطهر ،وبن علي، وحاول البعض أن يرفع نسبهم إلى الأدارسة العلويين[4] .

كانت مواطنهم ما بين جبال سعيدة شرقا ووادي ملوية غربا و قد تلو بني مرين في الكثرة[5].

---

(1)- يحي بوعزيز، **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، الجزائر ، دار البصائر ،2009،ص35.

(2)-عبد الرحمن إبن خلدون ،**ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،ج7،ط3، لبنان، دار الكتب العلمية ، 2006،ص86.

(3)- يحيى بوعزيز، المرجع السابق،ص35.

(4)- إبن خلدون ،المصدر السابق،ج7،ص86.

(5)- عبد الرحمان الجيلاني،**تاريخ الجزائر العام**،ج2،ط7،الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية1995،ص141.

2- استقرارهم بتلمسان:

عند قيام دولة الموحدين، أخلص بني عبد الواد في طاعتهم، فأقطعوهم عامة بلاد بني يلومي وبني ومانو[1]،ووادمينة وأحواز غليزان، فتمكنوا بذلك من تثبيت أقدامهم بتلك الجهات، فمكثوا بها محافظين على مكانهم ووحدتهم الذاتية والسياسية[2]، وقويت عصبيتهم وسيطروا على القبائل المجاورة لهم.

ولقد برز جابر بن يوسف بن محمد كزعيم لبني عبد الواد،في حين بدأ نجم الدولة الموحدية ينهار ويأخذ الثائر المايرقي يحي ابن غانية يطرق أبواب حواضر المغرب الكبرى، بعد أن سيطر على طرابلس وقابس[3]، وأحدث فيها تدميرا وتخريبا من أجل إحياء دولة المرابطين المنقرضة،كما تسبب بحركته في إثارة الفوضى في عموم المغرب كله،واستهوته مدينة تلمسان وإقليمها فزحف عليها[4]، ولكن جابر بن يوسف تصدى له بجموعه، وانتصر عليه وشتت شمله، فأعجب به الخليفة الموحدي المأمون،وكتب له البيعة على تلمسان وسائر قبائل زناتة تكريما له[5]،و اشتد ساعدهم وطال مقامهم في الناحية حتى أصبحت وكأنها قطاع دائم لهم[6].

3- يغمراسن و قيام الدولة:

بعد بداية ضعف وتفكك دولة الموحدين، تطلع بنو عبد الواد لتملك المغرب الأوسط[7]، وانتصب جابر بن يوسف 627هـ/1230م لحكم إدارة شؤون البلاد بنفسه وبادر حينئذ الى الاشتغال بجمع فصائل بني عبد الواد وفروعهم فأدخلهم تحت رايته ولم

(1)- ابن خلدون، المصدر السابق،ج 7،ص86.

(2)- عبد الرحمن الجيلاني ،المرجع السابق،ص 141.

(3)- ابن خلدون ، المصدر السابق،ص 88.

(4) - يحيى بوعزيز،المرجع السابق،ص36.

(5) - ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص36.

(6)- إسماعيل ابن يوسف الغرناطي ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**، تقديم و تحقيق و تعليق:هنى سلامة،نصر ،المكتبة العربية، 1421 هـ/2001 م، ص13.

(7)- عبد الرحمن الجيلاني، المرجع السابق ،ص142.

تفلت منه إلا مدينة ندرومة، فتوجه إليها سنة 629 هـ/1232م فقتل بها[1]، فجلس ولده الحسن الذي تولى لمدة ستة أشهر، ثم تخلى عن الحكم بها لعثمان بن يوسف مطلع سنة 630 هـ/1232 م،وخلفه أبو عزه زيدان بن زيان، وكان شجاعا صاحب رأي وحزم فأطاعه قومه ولم يخرج عن مبايعته يومئذ سوى بني مطهر من بني عبد الواد، فخرج لمقاتلتهم فقتلوه خارج تلمسان سنة 633 هـ/123م، وبموته انقطع نفوذ الموحدين تماما من تلمسان وبويع لأخيه يغمراسن[2]، يوم وفاة أخيه أبي عزة يوم الأحد 24 ذو القعدة سنة 633 هـ /1235م، وكان ملكا حازما نشيطا قوي العزيمة حديدي الإرادة ذا وقار وأبهة وسلطان[3]، قال يحي بن خلدون في عهد المبايعة " والأرض يومئذ تموج بالساكن،والهرج ينبو بالمساكن والفساد عبر الأقطار وأنزح الأوطار والعتو قد سل الشفار وباعد على كثبها الأسفار، فسكن الأرجاف وأسمى بكلأ الهدايا العجاف، قبض يد العداء، وأمكن يد عزه من رقاب الأعداء فجدد الملة وأشعر زي الخلافة الخلة"[4].

ويعتبر يغمراسن المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية[5]، وأخضع إلى سلطته كل الذين كانوا قد خرجوا عن أخيه،وألغى سيطرة الموحدين الفعلية ولم يبق لهم سوى عادة الدعوة للخليفة الحسن السعيد المعتصم على المنابر أيام الجمع والأعياد،وقد شق طريقه وسط الأشواك والحفر،لأن أوضاع المغرب الإسلامي آنذاك كانت معقدة ذلك أن دولة الموحدين دخلت في طور الانهيار والزوال، وفي نفس الوقت برزت زعامة بني حفص بتونس وزعامة بني مرين بالمغرب الأقصى، والكل يدعي لنفسه أحقية وراثة الموحدين [6].

(1)- ابن خلدون، المصدر السابق،ص88.

(2)- أبي زكريا يحي ابن خلدون،**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الجزائر ،الطباعة الشعبية للجيش،2007،ص200.

(3)- ابن الاحمر ، المصدر السابق،ص 59.

(4)- يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص204.

(5)- عبد الرحمن الجيلاني،المرجع السابق،ص 37.

(6)- يحيى بوعزيز،المرجع السابق،ص37-38.

4- حدود الدولة الزيانية:

شغلت الدولة الزيانية إقليم المغرب الأوسط، وعمل حكامها بدءا من يغمراسن بن زيان على توسيع حدودها وتثبيت قواعدها،وضم القبائل الى سلطتهم، وتمكن يغمراسن من التوسع غربا،وصار الحد الفاصل بينه وبين دولة بني مرين بالمغرب الأقصى واد ملوية كما امتد نفوذه إلى مدينة وجدة وتاوريرت غربا[1] وتوسع في الداخل وأخضع مازونة و تنس والونشريس والمدية ومواطن توجين[2]، وسهل متيجة حتى أطراف مدينة بجاية، أما جنوبا فإمتدت دولته حتى تخوم الصحراء[3] وتبلغ في بعض الأحيان شرقا الى أعمال قسنطينة ودلس، وهي في ذلك تسير حسب تقدم الدولة وانتصاراتها على منافسيها ومزاحميها من بني حفص وبني مرين، وبلغت حدودها الجنوبية الى سجلماسة،وشمالا الى البحر[4]، قال صاحب مسالك الأبصار نقلا عن الكعاك و"هي مملكة كبيرة وسلطنة جليلة قريب الثلثين من مملكة بر العدوة، وهي واسعة المدى كثيرة الخيرات ،ذات حاضرة وبادية وبر وبحر"[5] ومجمل القول أن حدود الدولة الزيانية كانت تمتد من تخوم بجاية وبلاد الزاب شرقا، الى واد ملوية غربا،ومن ساحل البحر شمالا الى إقليم توات جنوبا[6].

لم تكن حدود الدولة الزيانية ثابتة ومستقرة،بل كانت بين مد وجزر تبعا للظروف السياسية والأخطار الخارجية، وكانت لا تتجاوز في بعض عهودها أسوار العاصمة تلمسان،مثلما حصل أيام الحصار المريني لها سنة 699 هـ إلى 706 هـ /1299-1307م وقد اختلفت معالمها نهائيا عندما هاجمها أبو الحسن المر يني

(1)- عبد الرحمن الجيلاني، المرجع السابق، ص146.

(2)- عثمان الكعاك ، **موجز التاريخ العام للجزائر**، تقديم ومراجعة أبوالقاسم سعد لله وأخرون،بيروت، دار الغرب الإسلامي ،2003 ،ص213.

(3)- عبد الرحمن الجيلاني،المرجع السابق، ص151.

(4)- عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص213.

(5)- عبد الرحمن الجيلاني،المرجع السابق،ص163 .

(6)- نفسه،ص164.

سنة 737 هـ 1337 /م الى غاية إحيائها من جديد على يد أبي حمو موسى الثاني سنة 760 هـ 1359 /م.

لقد أحيت الدولة الزيانية المغرب الأوسط و عمرته ، و إليها يرجع الفضل في تمدين الكثير من مدنه ، و كانت أ راضيها تشكل موقعا استراتجيا ، إذ كانت حلقة وصل بين أجزاء التراب الإسلامي و ماوراءه من البلاد ، مما جعلها جسراو معبرا وزاد في أهميتها و ادخلها في دائرة التجارة الدولية ، أوروبا شمالا ، و السودان الغربي جنوبا.

ثانيا:السودان الغربي :

1- التسمية التاريخية : إن ذكر بلاد السودان الغربي، قد استعمل للتمييز بينها وبين السودان الشرقي، الذي يشغل المنطقة الموجودة في جنوب مصر وبلاد النوبة.*

ويركز مصطلح السودان في التاريخ الإسلامي وخاصة في العصور الوسطى ،للدلالة على دول جنوب الصحراء الكبرى ، وهذا للتمييز بينها وبين دويلات المغرب الإسلامي بشمال إفريقيا [1].

كما يطلق الجغرافيون على المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى بحيرة كوري* شمال خط الإستواء وجنوب الصحراء ،يطلقون عليها بلاد السودان وهي المنطقة التي تمثل المجال الموازي لبلاد المغرب ،تفصلهما الصحراء الكبرى[2].

---

* **بلاد النوبة:** تمتد على طول النيل متاخمة قفر القرعان (وهو الاسم الذي أطلقه العرب على دارا - من مجموعة تيدا - دارا القاطنين حاليا شمال بحيرة تشاد) جنوبا و أراضي مصر شمالا. من المؤلف الحسن محمد الوزان الفاسي ،**وصف إفريقيا** ،ج2، حققه محمد حجي و محمد الأخضر دار الغرب الإسلامي بيروت ،1983،ص179.

(1)- نور الدين شعباني ،**علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرنين الرابع و التاسع الهجري ، العاشر و الخامس عشر ميلادي** ،رسالة ماجيستير: الجزائر ،معهد التاريخ،2007،ص3.

(2)- أحمد الشكري،**الإسلام و المجتمع السوداني**،أبو ظبي،الإمارات العربية المتحدة،1996،ص58.

***بحيرة كوري:**ويقصد بها بحيرة تشاد وأول من أعطاها هذا الاسم هو ابن سعيد من المؤلف أبي الحسن علي بن موسى ،**كتاب الجغرافيا** ،ط2،تحقيق إسماعيل العربي،الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية،1982،ص93.

ولقد أطلق العرب القدامى* كلمة السودان على الأقوام التي تقطن جنوبي الصحراء الكبرى*و يتضح في الرسالة التي كتبها الجاحظ وسماها :'كتاب فخر السودان على البيضان" أنهم يقصرون لفظ السودان على ذلك الجزء الواقع في غرب إفريقيا، وهي تسمية مستوحاة من لون البشرة عند تلك المنطقة [1].

قال عنها البكري :".....وأول بلاد السودان....جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق" كما أن البكري أطلق كلمة السودان في القرن الخامس الهجري ،الحادي عشر ميلادي على ذلك الجزء من غرب إفريقيا ،الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرقا[2].

ويطلق على غرب إفريقيا المنطقة الممتدة فيما بين المحيط الأطلسي غربا و بحيرة التشاد شرقا، شمال نطاق الغابات الاستوائية وجنوب الصحراء، وهي تنحصر بين خط عرض 11° جنوبا- 17° شمالا فهي تشمل حوض نهر السنغال و المناطق المحيطة بفولتا العليا و نهر النيجر الأوسط[3].

وقال عنها ابن حوقل في كتابه صورة الأرض :"وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فان بلدهم الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد متلف ،غير أن له حد ينتهي إلى البحر المحيط وحدا له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب وحدا له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات"[4].

---

(1)- الحواس غربي،**السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591-1660م)**،مذكرة ماجيستير غير منشورة،جامعة الجزائر،2010،ص15.

***العرب القدامى**:ابن حوقل،و الإدريسي ،و البكري،و ابن خلدون، وابن عبد الحكم،و القلقشندي.....الخ.

***الصحراء الكبرى**:تمتد من ساحل المحيط الأطلنطي (موريتانيا)في الغرب وحتى حدود السودان ووادي النيل في الشرق وهي أحر وأجف صحاري العالم،يبلغ طول هذه المسافة4000كم،عن المؤلف فيج جي دي،**تاريخ غرب إفريقيا** ، ط1،ت-د السيد يوسف نصر،دار المعارف،1982،ص19.

(2) - أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري،**المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب** ،الكتاب الإسلامي ،ص172.

(3)- أحمد الشكري ،المرجع السابق ،ص59.

(4) - أبو القاسم بن حوقل النصيبي ،**صورة الأرض**،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت،لبنان ،ص24-25.

2- الموقع الجغرافي:

يحدد القزويني بلاد السودان الغربي جغرافيا بتلك المنطقة التي ينتهي شمالها إلى أرض البربر ،وجنوبها إلى البراري ،وشرقها إلى الحبشة ،وغربها إلى المحيط [1].

كما ذكر القلقشندي أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط، ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ،ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن،ومن الشمال البراري تمتد ما بين مصر وبرقة وبلاد عرب مغاربة من جنوبي المغرب الى"البحر المحيط"[2].

أما الحسن الوزان فقد قال هو الأخر في كتابه وصف إفريقيا:"...أما القسم الرابع وهو أرض السودان فيبتدئ شرقا بمملكة كاوكة*ويمتد غربا إلى مملكة ولاته* ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا وينتهي جنوبا إلى المحيط في مواقع لا نعرف عنها غير ما يرويه التجار الذين يأتون إلى مملكة تمبكتو وهو كثير .ويشق أرض السودان نهر النيجر... [3].

فمنطقة السودان تتخللها هضاب و جبال وقد ترتفع بعض أماكن الصحراء إلى ستة ألاف قدم فوق سطح البحر ، وتنخفض أخرى إلى ألف قدم تحت سطح البحر،تنتشر فيها كثبان الرمال و الواحات الكبيرة ، وكما توجد بها الهضاب الصخرية،و المسالك الفسيحة و سلاسل الجبال المنقطعة وكذلك الوديان[4].

---

(1)- زكرياء بن محمد القزويني،**أثار البلاد و أخبار العباد** ،بيروت،دار صادر،1967،ص25.

(2)- أحمد بن محمد علي القراري القلقشندي ، **صبح الأعشى في كتابة الأنشاء** ،ج5،تعليق عبد القادر زكار،دمشق،منشورات ،وزارة الثقافة و الإرشاد القومي،1983،ص275 .

(3) - الحسن بن محمد الوزان الفاسي،**وصف إفريقيا**،المصدر السابق،ص29.

كاوكة*:يتاخم هذا الإقليم بورنو غربا ،ويمتد إلى حدود مملكة نوبيا الواقعة على النيل وينتهي جنوبا بصحراء تتاخم منعرج النيل ،شمالا إلى صحراء سرت ثم يمتد من الغرب إلى الشرق على نحو 500ميل. أنظر الحسن محمد الوزان الفاسي،المصدر السابق،ص177-178.

ولاته*:وهي مملكة صغيرة خاملة بالنسبة لسائر ممالك السودان فليس لها من الأماكن المسكونة سوى ثلاث قرى كبيرة وأكواخ متفرقة.انظر الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص161.

(4)- الشريف الإدريسي،**المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس**، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل سنة 1862،المسيحية،ص32-33.

ويمكن أيضا تحديد المنطقة جغرافيا ،بناءا على أقوال المؤرخين المعاصرين * حيث تعتبر حدود السودان الشمالية هي بدايات الصحراء الإفريقية الكبرى ، و خط عرض 10° درجات شمال خط الإستواء ، و المحيط الأطلسي غربا ،والمحيط الهندي شرقا[1].

وبعد إستقراء أقوال المؤرخين العرب القدامى والمعاصرين ، يمكننا الوصول لتحديد قريب للمنطقة وهي أنها تطل على المحيط الأطلسي غربا وجنوبا، وتحدها الصحراء الكبرى شمالا وتتاخم بحيرة تشاد شرقا، وباختصار تشمل المنطقة بما يعرف اليوم بحوض السنغال وغامبيا و النيجر الأوسط وفولتا العليا[2].

أما من حيث دراسة التضاريس الجغرافية في السودان الغربي فقد تمثلت في:

أ- **السهول:**عبارة عن سهول ساحلية ضيقة نتيجة اقتراب حافة الهضبة القديمة ،لكنها تتسع في منطقتين هما سنجامبيا التي تشمل سهول السنغال*ومنطقة دلتا النيجر و مجراه الأدنى نشأة وقد نشأت نتيجة الإرسابات النهرية و تراجع البحر في سنجامبيا[3].

ب- **الهضاب:**وهي متوسطة قليلة الارتفاع في مناطق معينة تعلوها كتل هضابية متفاوتة الارتفاع والحجم وأهمها :هضبة فوتاجون في الجنوب الغربي في السودان الغربي و هضبة جوش شمال نيجيريا[4] .

ج- **المناخ:** يندرج مناخ السودان الغربي ضمن مناخ الإقليم الشبه الاستوائي، الذي يمتاز بارتفاع عام في الحرارة، وزيادة كبيرة في نسبة الرطوبة، نتيجة لوقوعه ما بين خط

---

(1)- الحواس غربي، المرجع السابق ، ص16.

المؤرخين المعاصرين*:عبد القادر زبادية،يحيى بوعزيز ،الهادي مبروك الدالي.....الخ.

(2)- الهادي مبروك الدالي، **التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من ذهاب القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998، ص20.

(3)- محمد رياض، **إفريقيا دراسة لمقومات**، ط 2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، 1973، ص102.

***السنغال:** تقع السنغال في الجزء الغربي لقارة إفريقيا، و يحدها المحيط الأطلسي من الغرب،تقع 14° شمال خط الاستواء، أراضي السنغال سهلية بشكل عام و ترتفع قليلا في الجنوب الشرقي ويبلغ أقصى ارتفاع للبلاد ما يقارب 581 متر،تقع عاصمتها داكار على شبه جزيرة الرأس الأخضر اقصى منطقة في إفريقيا غربا.انظر ا المرجع نفسه،ص103.

(4)- نفسه،ص102.

الاستواء جنوبا ومدار السرطان شمالا، وتزداد الحرارة ارتفاعا كلما اتجهنا نحو الداخل والشمال، خاصة في فصل الصيف[1]، وبذلك يمكن تمييز مناخ السودان الغربي فيما يلي:

1- **المناخ الصحراوي:** الذي يسود المناطق الشمالية المتاخمة للصحراء الكبرى، ممتد الى صحاري كل النيجر ومالي والسنغال،ويمتاز هذا الإقليم بشدة حرارته،وقلة المياه وندرة الأمطار[2].

وقد أفاد الإدريسي بأن الأمطار قليلة من صحراء نيسر والتي يدخل عليها المسافرون إلى مدينة اودغشت وغانة وهي صحراء قليلة البشر والماء بها قليل وشمسها قوية وقاتلة [3].

2- **المناخ الساحلي** : يمتاز هذا الإقليم بفصلين مناخيين، أحدهما جاف، والآخر ممطر وخاصة في السواحل الموريتانية والسنغالية نظرا لتأثيرات المحيط الأطلسي.

3- **المناخ الشبه الاستوائي:** يمتاز بارتفاع متوسط حرارته الى 28 درجة مئوية، وله فصلان ممطران ، وبينهما فصل جاف ،والسمة البارزة فيه هي:غزارة أمطاره ،ويمتد هذا المناخ من غينيا الى نيجيريا [4].

4- **مناخ المرتفعات:** ويسود في المناطق الجبلية المرتفعة ويميل نسبيا الى البرودة وغزارة الأمطار[5].

د- **الانهار:** لعبت الأنهار دور أساسيا في تاريخ المنطقة، ويشمل كل من نهر السنغال والنيجر وغامبيا، الى جانب وجود انهار أخرى ثانوية، كنهر الكادان وأنهار الجنوب، ونهر الفولتا ونهر داهومييوي أشهر هذه الأنهار[6]:

---

(1)- عبد القادر المحيشي، عبد العباس الغريري،سعدية صالحي ، **جغرافية القارة الإفريقية و جزرها** ، ليبيا،دار الجماهيرية،2000،ص160.

(2)- محمد **محي** الدين رزق، **إفريقيا و حوض النيل**، ط2،مصر،1934،ص47-48.

(3)- ابو عبد الله محمد الشريف الإدريسي،**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**،مج 1،د ط،مصر مكتبة الثقافة الدينية ص 107.

(4)- محمد محي الدين رزق، المرجع السابق، ص48.

(5)- عبد القادر المحيشي،المرجع السابق،ص161.

(6)- محمد محي الدين رزق، المرجع السابق، ص49.

1- **نهر السنغال:** يبلغ طوله حوالي 1700 كم وينبع من هضبة فوتا جالون* ويتجه شمالا، ثم غربا نحو المحيط الأطلسي عند مدينة سان لوي السنغالية، القسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة، ويتميز بانحدار مجراه تدريجيا في المنطقة الساحلية في مجرى مائي قليل العمق [1].

2- **نهر النيجر** : طوله حوالي 4200 كم، وهو ثالث أنهار إفريقيا بعد النيل والكونغو ويمتد في السودان الغربي على شكل قوس، يتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ،ونهر النيجر صالح للملاحة، وهو مصدر هام لصيد السمك، وقد قامت على ضفافه وخاصة في مالي حضارات أهم المدن الإسلامية، التي برزت في السودان الغربي قبل الاستعمار الأوربي، بحيث يعتبر شريان حيوي بالنسبة للعمران والمواصلات في هذه الرقعة من إفريقيا [2].

3- **نهر غامبيا** : من أهم طرق المواصلات في المنطقة، صالح للملاحة لمسافة 470كم تقع القرى بعيدة عن مجراه بسبب كثرة المستنقعات والغابات على ضفافه،وهو المدخل الرئيسي للسودان الغربي من جهة المحيط[3].

ومن حيث الدراسة البشرية فسنتعرف الآن على العناصر السكانية للمجتمع السوداني:

هـ - السكان: عند دراسة منطقة السودان الغربي، لابد لنا من إلقاء نظرة سريعة على عناصر السكان لأن اختلافها اثر في تاريخ المنطقة.

---

(1)- محمد فاضل علي باري،سعيد إبراهيم كريدية:**المسلمون في غرب افريقيا تاريخ و حضارة**،بيروت،دار الكتب العلمية،2007،ص22.

***فوتا جالون:**هي هضبة تمثل خط تقسيم المياه بين المجاري السريعة و القصيرة المنحدرة نحو المحيط الأطلسي و بين منابع نهر السنغال والنيجر، عبد القادر المحيشي،المرجع السابق،ص38.

(2)- محمد باري،إبراهيم كريدية،المرجع السابق، ص22.

(3)- محمد عبد الغني سعودي، **الموسوعة الجغرافية للعالم**، إقليم غربي إفريقيا، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1999، ص43.

فقد كان للبعض منهم دولا خاصة بهم، وصناعات يدوية متطورة في العصور الوسطى كالهوسا مثلا،بينما بقي البعض يعيشون نظما اجتماعية واقتصادية بدائية، مثل قبائل شمال نيجيريا الوثنية، وذلك حتى القرن التاسع عشر[1].

وقد أطلق الرحالة والمؤرخون العرب على هذه القبائل المختلفة و الصغيرة اسم السودان.

فالإصطخري يصفهم بقوله "وسكانها ليسوا بنوبة ولا بحبشة ولا من البجة، إلا أنهم أشد سوادا من الجميع و أصفى "[2].

أما ابن خلدون فيقول "السودان أصناف شعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنوج والنوبة ويليهم الكانم ويليهم من غربهم كوكو، وبعدهم التكرور، ويتصلون بالبحر المحيط الى غانية "[3].

وتتكون غالبية سكان السودان الغربي من أربع قوميات كبرى هي:الماندي و سونرهاي والهوسا ،وهي شعوب افريقية كبرى،أما الرابعة فتشكلت من الشعوب القادمة للمنطقة واختلاطها بشعوب السودان أي الفولاني، وأغلبية هذه القبائل والشعوب إعتنقت الإسلام في فترات تاريخية متعددة ولعبت دورا كبيرا في نشره [4].

وسنقف قليلا نتحدث عن أهم هذه الشعوب، والدور الذي لعبته في منطقة السودان الغربي.

---

(1)- عصمت عبد اللطيف دندش،**دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515 هـ/1038-1121م** ط 1،بيروت، دار الغرب الإسلامي،1988، ص42.

(2)- أبو إسحاق إبراهيم الإصطخري، **المسالك و الممالك**،تحقيق الحيني، القاهرة،1961،ص72.

(3)- ابن خلدون المصدر السابق،ج 6،ص126.

(4) - عطية محزوم الفيتوري،**دراسات في شرق إفريقيا جنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام**،ط1، منشورات قان يونس ط1،بن غازي، 1998 ص23.

1- الماندنجو:

إن شعب الماندي يشكل غالبية السكان في الأقاليم الواقعة بين روافد نهر السنغال وغامبيا وأعالي النيجر وتفرعوا الى عدة بطون أهمها[1]:

البامبارا –المالنكي–غالونكي–السامانكي– فقد انشأ الماندنجو بأنفسهم دولة مالي التي ظهرت ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر بعد اعتناق رؤساءها الإسلام[2].

2- سونرهاي (سنغاي):

شغلت الأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو و تمتد على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال وأنشأت هذه القبائل إمبراطورية سونرهاي، في القرون الأولى الميلادية وأقامت علاقات تجارية وحضارية مع مصر في أعالي النيل[3].

3- الهوسا:

كانوا يعيشون في السابق في الأقاليم الوسطى لجنوب الصحراء شرقي نهر النيجر وقد أخرجتهم من مواطنهم قبائل الطوارق فأخذوا يهاجرون نحو الجنوب، ومنذ العصور القديمة كان الهوسا يختلفون عن بقية الشعوب السودانية ، وذلك بتفوقهم في الصناعات اليدوية خاصة صناعة المنتوجات،وقاموا بنشاط تجاري مزدهر مع الشعوب الأخرى، ونتيجة لذلك أصبحت لغتهم هي اللغة السائدة المستخدمة في التجارة والعلاقات الدبلوماسية بالسودان الغربي[4].

4- الفولاني:

تعتبر قبائل الفولاني من أهم القبائل الإفريقية من حيث التأثير والانتشار، وكانت أوطانهم الأولى في السنغال الأوسط ، وقد تأثروا بالرعاة من البربر إذ كانت جماعات البربر تأتي من الشمال وراء المرعى، واختلطت هذه الجماعات وتزاوجت واستوعبت البربر

(1)- عطية محزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص24.

(2)- عصمت عبد اللطيف دندش ، المرجع السابق، ص43.

(3)- الهام محمد علي ذهني، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي**، 1850-1914، دار المريخ للنشر، الرياض 1988، ص37.

(4)- عطية محزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص26.

لغاتهم، وفي نهاية القرن الحادي عشر وصلوا الى إمبراطورية غانة ، التي زحف عليها المرابطين فيما بعد فأعتنق معظم الفولاني الموجودين بها الإسلام[1].

وتتقن هذه القبائل عشرات اللغات واللهجات أهمها: اليوروبا ،والفولا،الماندي والموسى ولكن الشيء الذي يجدر ذكره أن بلاد السودان وإن شكلت إقليما ممتاز جغرافيا ، فيبقى ذكره مرتبطا بذكر بلاد المغرب الإسلامي، لأنه لم يعرف ذلك الدور التاريخي والحضاري المشهود قبل دخول الإسلام الى المنطقة ، رغم احتواء أراضيه على ثروات الدنيا المكتنزة من الذهب والنحاس والملح وغيرها، وفي المبحث الآتي سنبين انتشار الإسلام في السودان الغربي و مظاهر ذلك[2].

ثالثا:انتشار الإسلام وقيام الممالك الإسلامية:

1- انتشار الإسلام:

يعتبر موضوع انتشار الإسلام في السودان الغربي ، من أهم الأحداث التي شهدها هذا الجزء من إفريقيا حيث ترتب عليه نتائج سياسية واقتصادية، غيّرت السمات التي كانت عليها هذه المنطقة والقارة من قبل، كما أن حركة انتشار الإسلام وما أحدثه من تغيرات جوهرية، كانت محل اهتمام العديد من الكتاب والمؤرخين، وتعددت أرائهم واختلفت حول حقيقة وطريقة انتشار الإسلام بالمنطقة.

كما يذكر المؤرخ الفرنسي "Guilli جيلي" أنه بانتشار الإسلام يبدأ العصر التاريخي لإفريقيا السوداء ، والمقصود هنا بالعصر التاريخي هو بداية الحضارة ، أي بروز الخصائص الحضارية لإفريقيا الإسلامية [3].

(1) - محمد باري، علي كريدية، المرجع السابق، ص27.

(2)- يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين، الجزائر، دار البصائر،2009، ص10.

(3)- نور الدين شعباني،المرجع السابق ،ص47 .

إن هذا التعبير يعطي للإسلام دورا عظيما في تاريخ السودان بصفة عامة والسودان الغربي بصفة خاصة،حيث انه يمثل أهم عامل ربطه بالعالم الإسلامي ، وقربه من المغرب العربي الإسلامي.

وقد ساهمت عدة عوامل في انتشار الإسلام في السودان الغربي أهمها:

أ- دور التجار:

لقد دخل الإسلام في البداية الى السودان الغربي بمجهودات فردية قام بها تجار شمال إفريقيا الذين كانوا بمثابة دعاة ، وأن عظمة الإسلام تكمن في تعاليمه السمحة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق والمعاملة الحسنة ،وهي الاخلاق التي اكتشفها أهل السودان في التجار المسلمين ، حيث لعبوا دورا عظيما في إعطاء صورة جيدة عن الإسلام ومبادئه التي وجدها سكان السودان مبادئ بسيطة غير معقدة ، وكان الإسلام يمثل بالنسبة للتجارة جواز سفر لهم ولتجارتهم [1].

إن التجارة ربطت السودان الغربي بشمال إفريقيا حتى قبل وصول الإسلام الى المنطقة إذ تعود الى 500 سنة قبل الميلاد ، وربما قبل ذلك ، عن طريق البربر القدامى الذين كانوا يتوغلون عبر الصحراء بواسطة العربات والأحصنة إلى غاية أفريقيا الاستوائية ،كما كان القرطاجيون يحملون سلعتهم الى غاية السواحل الغربية لأفريقيا السوداء [2].

لكن أعظم فترة لانتشار و ازدهار التجارة في المنطقة تزامنا مع دخول الإسلام حيث أصبحت تحمل معها مظاهر النبل و السلم و الرفاهية عن طريق أخلاقيات التعامل التجاري التي ميزت التجار المسلمين عن سابقيهم[3].

وكان التجار المسلمون ينقلون الإسلام حيث امتدت طرقهم التجارية في بلاد السودان منذ أواخر القرن الأول للهجرة قادمين من مصر عبر الطريق القديم "عبر

(1)- محمد باري و، علي كريدية، المرجع السابق، ص38.

(2)- دونالد ويدنر، **تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء**، ترجمة راشد البراوي، مصر،دار الجيل ،2001 ،ص37.

(3)- شوقي عطا الله الجمل ،عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، **تاريخ المسلمين في إفريقيا و مشكلاتهم**، القاهرة،دار الثقافة،1966،ص86.

صحراء الكفرة* لكن عددهم كان قليلا و تأثيرهم كان ضعيفا[1]، وما إن حل القرن الرابع للهجرة /العاشر للميلاد حتى بدأ يظهر التأثير الحقيقي للمسلمين بالمنطقة، لكن هذه المرة عن طريق التجار البربر المغاربة[2].

وهكذا بدأ الإسلام يتوغل عن طريق الصحراء إلى إفريقيا بواسطة التجار البربر من البدو و الرحل و توطن في بلاد السودان ، حيث كان أوائل المسلمين الذين عاشوا في المنطقة حوالي القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد، هم التجار البربر و العرب الذين استقروا في الأسواق المشهورة في شواطئ الصحراء الجنوبية و كانوا يبتاعون العبيد و الذهب و العاج و بعضهم توغل إلى الداخل و تقرب من الزعماء المحليين المسيطرين على هذه التجارة و الذين سرعان ما اسلموا، ثم بدا التجار المسلمون ينشرون الإسلام و يدعون إليه و تزوجوا بنساء سودانيات و كونوا أسر مسلمة[3].

وخلاصة هذا فان انتشار الإسلام في المنطقة كان سلميا في اغلبه، أي عن طريق التجارة لكنه بقي سطحيا واقتصر على المدن دون غيرها من المناطق الريفية ، و مع ذلك فإن التجار قاموا بدور لا يستهان به في نشر الإسلام و نقله إلى بلاد السودان الغربي لكن بقي الدور الكبير هو الذي قامت به الفتوحات الإسلامية.

ب- بداية الفتح الإسلامي :

إن المصادر العربية الخاصة بالفتوحات الإسلامية في منطقة إفريقيا ، لا تمدنا إلا بإشارات مقتضبة عن بداية الفتح الإسلامي في بلاد السودان.

وكانت أولى حملات الفتح الإسلامي بعد فتح ولاية افريقية، تعود الى عقبة بن نافع الفهري(ت 63 هـ - 686 م)، الذي يكون أقصى ما وصل إليه خلال ولايته الأولى، هي

(1)- شوقي عبد القوى عثمان، **التجارة بين مصر و إفريقيا في عصر المماليك** ، مصر،المجلس الأعلى للثقافة،2000،ص39.

(2)- عطية القيتوري، المرجع السابق،ص104.

(3) -Chailley marcel, **Histoire de lAfrique occidentale,** paris,1968, p32-33.

بعض المناطق الصحراوية حيث فتح ودان* ،ومدينة فزان و ذلك عام 46 هـ / 666 م . بالإضافة إلى مدينة كوار* ،أما في ولايته الثانية فيكون قد وصل إلى السوس الأقصى وكان ذلك عام 62 هـ/ 685 م[1].

إن ابن عبد الحكم لا يفصل أكثر من هذا، بينما نجد أن البكري يشير إلى أن عقبة بن نافع قد وصل إلى أبعد من ذلك و انه بلغ مدينة نفيس ،التي تقع في الركن الجنوبي من بلاد السودان، بمحاذاة البحر المحيط حيث يقول "ومن أغمات وريكة الى مدينة نفيس* و هي تعرف بالبلد النفيس كثيرة الأنهار و الثمار ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه و لا أجمل نظرا و هي قديمة أزلية غزاها عقبة بن نافع صاحب الرسول صلى الله عليه و سلم، و حاصر بها الروم و نصارى البربر، و كانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها و سعتها فلزمهم حتى فتحها،و بنى فيها مسجد إلى اليوم، و أصابوا فيها غنائم كثيرة و ذلك سنة اثنين و ستين و هي اليوم أهلة عامرة بها جامع و حمام و أسواق جامعة"[2].

وبعد هذه الرواية، لم نجد إشارات أ خرى عن الفتح الإسلامي في بلاد السودان، مما يجعلنا نعتقد بان الفتوح الإسلامية الأولى لم تتجاوز الشواطئ الجنوبية للصحراء، ولم تتوغل إلى بلاد السودان، و هذا ربما يعود إلى مقتل عقبة بن نافع، و انشغال الفاتحين من بعده بفتح الأندلس التي كانت تبدوا أكثر أهمية من بلاد السودان بالإضافة إلى المخاطر التي كانت تواجه الفاتحين الأوائل من القبائل البربرية الوثنية و كذا هجمات

---

(1) - ابن عبد الحكم، **فتوح مصر و المغرب**، ج1،د ط،تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،د س،ص263.

ودان*:هي واحات من النخل، جنوب فزان في ليبيا حاليا،ولعبت دورا كبيرا في العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان. انظر الإدريسي،المصدر السابق، ص115 .

كوار*:هي مجموعة من الواحات في الصحراء الشرقية، تقع في نصف الطريق بين فزان شمالا،وبحيرة تشاد جنوبا.من شعباني نور الدين،المرجع السابق، هامش ص103 .

(2)- أبو عبد الله ابن عبد العزيز البكري، المصدر السابق ،ص 160.

*نفيس:هي مدينة من أعمال أغمات وريكة،و تبعد عن السوس بست مراحل الى الجنوب،الإدريسي،المصدر السابق ص32.

الأسطول البيزنطي على سواحل قرطاجة و على بعض الثغور البحرية في سواحل المتوسط[1].

ومهما يكن من أمر فإن الفتح الإسلامي في بلاد السودان، لم يتوقف عند ذلك الحد ففي سنة 116 هـ/ 734 م أرسل عبد الله بن الحبحاب(ت 124 هـ/ 740 م)، حبيب بن أبي عبيد بن عقبة بن نافع الفهري غازيا الى السوس الأقصى، و لم يقابله احد إلا ظهر عليه و لم يترك قبيلة إلا فتحها و سباها[2].

كما يحمل إلينا البكري إشارات أخرى حول حملات الأمويين لفتح بلاد السودان، من خلال ذكره للآبار الموجودة في المجابة الكبرى للصحراء الواقعة جنوب درعه، والتي يقول عنها بأن الجيش الذي أرسله بنو أمية لفتح السودان هو الذي حفره[3] (أنظر الملحق رقم:01).

ورغم ذلك كله، فإن تلك الفتوحات التي بدأت منذ صدر الإسلام،ورغم قدمها، إلا أن دورها بقي بطيئا في نشر الإسلام،ذلك أن أكبر فترة لانتشار الإسلام في المنطقة، كانت خلال عهد المرابطين*.

(1)- نور الدين شعباني ، المرجع السابق ،ص 52.

(2)- ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**،ج1، تحقيق و مراجعة ج س كولان و إليجي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة،1983،ص 51.

(3) - أبو عبد الله ابن عبد العزيز البكري، المصدر السابق ،ص179.

***المرابطين:** يعود إلى قبائل لمتونة التي سكنت بلاد القبلة منذ عصور بعيدة قبل الإسلام ،وتكيفوا مع حياة الصحراء واتخذوا اللثام ميزة لهم حتى سموا بالملثمين ،وكانوا يعيشون حياة الزهد والتصوف ،وكان مركزهم قرب السنغال،وكان المسلمون يرون في المرابطة نوعا من ألوان الجهاد سوى جهاد العدو أوجهاد النفس.أنظر **تاريخ المغرب العربي** ،لعبد الواحد ذنون طه ،خليل إبراهيم السمرائي، ناطق صالح مطلوب،لبنان ،دار الهدى الإسلامي 2004 ،ص289 ولمزيد من المعلومات حول المرابطين أنظر عبد اللطيف دندش،المرجع السابق ،ص69.

ج- دور المرابطين:

لاشك أن دور التجار المسلمين قد ساهم بقسط وفير في نشر الدعوة الإسلامية في بلاد السودان الغربي، منذ صدر الإسلام ومجيء أولى القوافل الإسلامية إلى المنطقة. كما أن الفتوحات الإسلامية الأولى في عهد عقبة بن نافع،التي وصلت إلى مشارف الصحراء وأيضا دور الأمويين كان ذا أهمية بالغة أيضا،إلا أن السودان لم يدخل بعد في التاريخ الإسلامي بالمعنى الذي يؤثر في الحياة العقائدية، التي كانت إلى غاية القرن الرابع للهجرة تسيطر عليها الكثير من المعتقدات البدائية،من عبادة الأرواح والأجداد المعروفة في إفريقيا السوداء.

إذن فالإسلام كما قلنا سابقا بقي ديانة المدن والتجمعات الحضرية، كما بقي إسلاما سطحيا ولم يتوغل جيدا في الحياة اليومية لسكان الصحراء والسودان الغربي، إن هذا الوضع تطلب فتحا جديدا للإسلام أي فتحا حقيقيا يكمل ما كان قد بدأه التجار. والفاتحون الأوائل ويعمل على غرس العقيدة الإسلامية في بلاد السودان الغربي، ويتطلب هذا الدور رجالا ذو عقيدة متينة ودولة قوية[1]، وهو ما يتوفر في المرابطين الذين تعد دولتهم أول قوة وحدت المغربين الأقصى والأوسط، ولعبت دور كبيرا في نشر الإسلام في الساحل الإفريقي الغربي وبلاد السودان[2].

إن إسلام الملثمين* تمخض عنه قيام حلف قوي ضم القبائل البربرية بزعامة لمتونه وأخذوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام نحو الجنوب، في الصحراء وبلاد السودان مدفوعين في ذلك بحماسهم للجهاد، وحداثة عهدهم بالإسلام، وفلسفتهم القائمة على

(1)- نور الدين شعباني ، المرجع السابق،ص 54.

(2)- نفسه، ص54.

الملثمين: هي تلك القبائل البربرية الصحراوية من صنهاجة ولمتونة وكدالة وغيرها ،والتي كانت تضع اللثام على وجوهها، ويقول عنها البكري"مقامهم الصحراء وجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب ،وهو فوق اللثام حتى لايبدي منه إلا محاجر عينيه ولا يفارقونه في حال من الأحوال ،ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمة إلا إذا تنقب"، المصدر السابق،ص170.

التشدد في أمور الدين ، واحتقارهم حياة الدنيا والعزوف عن ملذاتها[1]، كما ساعدهم على ذلك الضعف الذي بدأ يتسرب إلى مملكة غانة خلال هذه الفترة وإ غارة أعدائها عليها.

إن ابن خلدون يؤكد هذا الرأي بقوله:"أن أهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم،واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جانب الشمال، مما يلي البربر، وعبروا على السودان واستباحوا حماهم،واقتضوا منهم الأتوات والجزية،وحملوا كثيرا منهم على الإسلام فدانوا به"[2].

وكانت بداية سير الملثمين إلى بلاد السودان عام (433 هـ / 1042 م) على رأس قوة عظيمة باتجاه مملكة غانة ، وكان يتزعم المرابطين يحي بن إبراهيم من قبيلة جدالة وهي إحدى قبائل صنهاجة[3]، وكان برفقته فقيه من قبيلة جزولة، يدعى عبد الله بن ياسين (ت 451 هـ – 1059 م)، ولكن أكبر انتصار حققه المرابطين على بلاد السودان و إمبراطورية غانة خاصة، هو الاستيلاء على أود غشت، التي كانت خاضعة لسلطان إمبراطورية غانة ،رغم أن ملكها كان مسلما، وكان ذلك عام 446 هـ/ 1054 م ،وبدخول المرابطين أود غشت وضعوا أرجلهم على أهم ممالك السودان، وعلى أهم محطة تجارية ذات حيوية اقتصادية وتجمع سكاني هام، كما أصبح المرابطين متمركزين على بعد ثلاثة أيام فقط من العاصمة الغانية[4] كومبي صالح*(أنظر الملحق رقم:01).

يبدو أن عدد المسلمين في بلاد السودان الغربي كان قليلا بشكل عام، وعندما بدأت دولة المرابطون في دخولها، بدأ عهد جديد من العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان.

---

(1)- جودت عبد الكريم يوسف ،**الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1992،ص264.

(2)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص130.

(3)- السلاوي أبو العباس أحمد الناصري ،**الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى**، ج5،تحقيق وتعليق:جعفر الناصري ومحمد الناصري،الدار البيضاء،دار الكتاب، 1955 ص117.

(4) - عبد اللطيف دندش،المرجع السابق ،ص81.

***كومبي صالح:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تنكبت، وتبعد عنها بحوالي خمسمائة كلم ،من الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق ،ص 27.

اعتنق الأمراء الغانيون الإسلام، وانضموا تحت لواء دولة المرابطين مع أتباعهم من السراكولي والديولا والماديغا، وأصبحوا يقومون نيابة عن المرابطون بحملات جهادية لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية، من قبائل البهل والموسي[1]، وبذلك كان للمرابطين دور كبير في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في منطقة السودان الغربي، وساهموا في الحفاظ على الوضع الاقتصادي واستقراره ، كما عملوا على تأمين طرق المواصلات الذاهبة إلى الشمال.

امتد الإسلام إلى معظم دول غرب و وسط إفريقيا، ومثل قوه لاحمة سياسية، وكان العامل التاريخي لربط أواصر العلاقات بين الشمال والجنوب، ووسع العلاقات الاقتصادية والتجارية بين المنطقتين ،وقامت أيضا مبادلات فنية وثقافية وتقنية مبنية على الثقة مساهما في تطور السودان الغربي، ويعتبر دخوله المنطقة، بداية ظهور الخصائص الحضارية لإفريقيا جنوب الصحراء.

2- قيام الممالك أو الإمبراطوريات الإسلامية:

إن انتشار الإسلام بين سكان بلاد السودان الغربي أدى إلى قيام العديد من الدول وكانت على شكل ممالك وإمبراطوريات، سيطرت على مجرى الأحداث في المنطقة، ومن أهم هذه الممالك هي:

أ- **مملكة غانـة:** وتعد أقدم ما تكلم عنه المؤرخون من الممالك السودانية إذ يرجع تاريخ نشأتها إلى القرن الثالث ميلادي، كما أنها عرفت أطول مدة من الوجود والسيطرة في منطقة السودان الغربي،وذلك الى غاية القرن 7هـ/ 13 م(أنظر الملحق رقم:02).

وكانت تشغل المنطقة الممتدة من بلاد السنغال وحوض النيجر، وتمتد إلى جنوب موريتانيا الحالية وجزء من جمهورية مالي[2].

(1)- دنون طه وآخرون ،المرجع السابق ،ص 30.

(2)- شعباني نور الدين ، المرجع السابق ،ص 6.

واشتهرت غانة بالذهب[1]،وقد ذكر محمود كعت إنه كان بمدينة غانة العاصمة،اثنا عشر مسجدا[2]،وكان بغانة أيضا الكثير من العلماء ورجال الدين والأدب وطلاب العلم وكانت العربية لغة التعامل ليس بين المسلمين فحسب، بل وفي جميع أنحاء الإمبراطورية وحاضرة غانة هي كومبي صالح [3].

لقد ازدهر اقتصاد غانة لرخائها وأمنها واعتمادها على التجارة أولا، وعلى موقعها الإستراتيجي بين مناجم الذهب في الجنوب ومناجم الملح في الشمال ثانيا [4] ،قاد ذلك الى فتح البلاد تجاريا بين شمال الصحراء وجنوبها، فكان هذا مصدر غنى دائم لها.

وعلى الرغم من قدم مملكة غانة إلا أن ذروة مجدها وقمة ازدهارها لم تبلغهما إلا بين القرنين الثالث والخامس الهجري/ التاسع والحادي عشر ميلادي عندما ظهرت المؤثرات العربية الإسلامية فيها بشكل جلي[5].

وقد بدأ الضعف يدب في مملكة غانة منذ عام 603 هـ/ 1203 م ،حتى استطاع جيش أحد الأقاليم التابعة لها وهو إقليم صوصو أن يهاجم العاصمة ويستولى عليها ونهبها حوالي 639 هـ/ 1240 م، فاضطر مسلم غانة للفرار إلى ولاته شمال كومبي صالح[6]،وأصبح هذا المكان الجديد مركز للحياة الإسلامية في الصحراء الكبرى ، وفي القرن السابع للهجرة الثالث عشر ميلاد فقدت غانة اسمها، حيث ضمتها دولة شعب المندنجو التي عرفت باسم مالي[7].

(1)- شوقي الجمل، إبراهيم عبد الرازق ،المرجع السابق، ص86.

(2)- محمود كعت التنبكتي ، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تحقيق هوداس وديلافوس،اريس, 1913،ص42.

(3)- عبد الرحمان بن عبد الله السعدي ، **تاريخ السودان**، ط7،باريس، نشر هوداس،ط7 ، 1981،ص16.

(4)- ظاهر جاسم ،**أفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال**،القاهرة،المكتب المصري،2003،ص37.

(5)- نفسه، ص39.

(6)- شوقي الجمل،ابراهيم عبد الرازق،المرجع السابق،ص 89.

(7)- أحمد الشكري،المرجع السابق،ص60.

ب- إمبراطورية مالي(628-834هـ)-(1230-1430م) [1]:

قامت هذه الإمبراطورية بجهود شعب المندنجو، واتسعت على جانبي نهر النيجر شرقا وغربا[2] ، وشملت مملكة مالي جمهورية مالي الحالية، وأعالي السنغال الشرقي وشمال غينيا وشمال بوركينا فاسو، والجنوب الأقصى من موريتانيا، وجاء في وصف مساحتها على أن طولها مسيرة أربعة أشهر، وعرضها بمسيرة ثلاثة أشهر[3] (أنظر الملحق رقم:03).

تعد مالي من الممالك الواسعة المساحة في السودان الغربي، ويعد شعب الماندنجو المؤسس لها، وهم من أوائل الشعوب المعتنقة للإسلام، ومن يتبع تاريخ هذه المملكة يجد أنها تدين بولائها لغانة، وبمرور الزمن كانت السيطرة لمالي التي خلفتها، فكانت بديلة لها في السيطرة على الطرق التجارية المؤدية الى مناجم الذهب، الموجودة بين نهري السنغال والنيجر[4].

لقد كان عام 628 هـ/ 1230 م بداية نشوء مملكة مالي وتوسعها، حيث توسعت شرقا وغربا ويعتبر منسا موسى أقوى ملك حكم مالي على الإطلاق ما بين707-733 هـ/ 1312- 1337م[5] ، الذي وجه جهوده لصيانة النظام والأمن، وتوطيد علاقاته مع جيرانه من الشمال الأفريقي، وقد وصفه ابن خلدون بأنه "كان رجلا صالحا وملكا عظيما له في العدل أخبار تؤثر عنه"[6] وأيضا ذكر السعدي بأنه'صالح عادل لم يكن فيهم مثله في الصلاح والعدل"[7].

(1)- أحمد الشكري،المرجع السابق،ص60.

(2)- محمد بدري، المرجع السابق، ص34.

(3) - ظاهر جاسم،المرجع السابق، ص38.

(4)- نفسه، ص39.

(5)- هادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص 56.

(6)- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص132.

(7)- عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص18.

لقد استطاع هذا الرجل السيطرة على مقاليد الأمور، وذاع صيته برحلته المشهورة الى الحج، التي قام بها عام 713 هـ/ 1324 م،وصحب معه الآلاف من رعاياه وكمية كبيرة من الذهب ،وزعها على الفقراء أثناء إقامته في القاهرة وفي الحجاز[1].

وهكذا فقد أصبحت منطقة السودان الغربي عموما تشغل بال مصر والمغرب والبرتغال والمدن الايطالية، محاولين تمتين علاقاتهم التجارية مع مملكة مالي[2]، وعرفت هذه المنطقة في هذه الفترة تأثيرات عربية و إسلامية قوية في النواحي الحياتية المختلفة بفضل حج ملوكها والرحلات التي كانت بين بلدان العالم الإسلامي.

على الرغم من الرخاء الاقتصادي الذي عاشته هذه الإمبراطورية، واتساع رقعتها وعلاقتها الدبلوماسية،في ظل عدد من الملوك الأقوياء، إلا أن هذا لم يمنع مرورها بمرحلة الضعف، بسبب الخلاف الناشب بين ورثة الحكم، فضلا عن سيطرة قبائل الشمالية على أهم المراكز التجارية في البلاد، وهجوم قبائل السنغاي من الشرق[3]،تمكنت إحدى الممالك الناشئة وهي مملكة السنغاي في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، من ضم المقاطعات الشرقية، وإ استغلت فترة ضعف مالي، وأسست إمبراطورية مزدهرة وقوية وهي:

ج- **إمبراطورية السنغاي:** وقد قامت هذه الإمبراطورية في النيجر الأوسط، وشعب السنغاي شعب زنجي، وكان الإسلام قد دخل هذه البلاد في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، واعتنقه ملوكهم[4].

ومن أهم مدنهم جاو، الواقعة على الضفة اليسرى لنهر النيجر و جيني التي اشتهرت كمركز للعلم، وكسوق تجاري[5].

(1)- ظاهر جاسم،المرجع السابق،ص 42.

(2)- نفسه ، ص42.

(3)- محمد بدري، المرجع السابق، ص36.

(4)- شوقي الجمل، إبراهيم عبد الرزاق، المرجع السابق، ص92.

(5)- محمد باري، علي كريدية،المرجع السابق، ص117.

وقد خضعت السنغاي لسيادة مالي فترة من الزمن، لكنها تحررت بعد ذلك ونمت وازدهرت، ومن أشهر ملوك سنغاي، أسقيا محمد الكبير من899-935هـ / 1493-1528م وقد ذهب للحج في صفر 902 هـ/ 1496 م ، وقد نجح في مد سلطانه الى كانو واشتهر بتشجيعه للعلماء ،وقد ذاع في عهده شهرة تمبكتو،ومعهد سنكري ،وكذلك معاهد العلم التي افتتحت في جني وجاو[1].

ومن أبرز رجال العلم الذين قربهم إليه، العالم محمد المغلي التلمساني من 909 هـ-1503 م،وهو من العلماء المغاربة الذين برزوا في السودان الغربي في القرن 9هـ/ 15 م. و نلاحظ أن ملوك السنغاي إشتهروا بتشجيعهم للعلم والعلماء، وحرصهم على نشر الإسلام بين أتباعهم وذلك سهل ارتباطهم وعلاقاتهم مع بلدان المغرب والمشرق الإسلامي[2].

ويرى ترمنجهام أن لفظة "سنغاي" كانت تطلق على بلاد والمنطقة النهرية جنوب دندي وليس على السكان الذين يطلق عليهم "صنغي"[3].

و ازدهرت الحركة التجارية، ونشطت المدن في ذلك، وكانت سنغاي من أبرز ممالك السودان الغربي ازدهارا وتطورا.

وقد سقطت مملكة السنغاي في عام 1000 هـ/ 1591 م، حيث غزاها الجيش المغربي بقيادة المنصور أحمد الذهبي[4].

---

(1)- شوقي الجمل، إبراهيم عبد الرزاق،المرجع السابق،ص 93.

(2)- نفسه، ص 95.

(3)-trimingham j spencer :**ahistory of islam in west africa**,oxford,iniversity presse,1970,p84.

(4)- ظاهر جاسم، المرجع السابق ، ص 49 . حكم السعديين مابين 986-1011 هـ/1578-1603م، لمزيد من المعلومات حول حملة المنصور على السنغاي، انظر: تاريخ السودان، للسعدي،ص 137.

د- إمبراطورية كانم والبرنو:

ومن إمبراطوريات السودان الغربي كانم والبرنو، وقد شملت مملكة كانم في أوج مجدها رقعة واسعة في غرب إفريقيا، تمتد من نهر النيجر غربا إلى النيل شرقا[1].

وقد بقيت مملكة كانم قائمة فترة إمتدت من القرن الثاني الى السابع الهجري/ الثامن و الثالث عشر الميلادي، وبدأ الضعف يدب في أوصالها، فأصبحت جزءا من برنو بعد أن كانت برنو خاضعة لها،وقد اعتنق حكام كانم الإسلام منذ أوائل القرن 11 م/ 5هـ [2] مما أكسب دولتهم أهمية كبرى.

أما إمبراطورية برنو فقد ازدهرت في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي، واشتهر من حكامها ماي إدريس علومه978-1010هـ-1570-1602م وقد بذل جهدا كبيرا في تعمير المساجد في بلاده، ودعم الروح والمبادئ الإسلامية فيها[3].

وقد ظلت مملكة البرنو قائمة، حتى هاجمها الفولة وانتزعوا أقاليم الهوسا، التي كانت تابعة لهم وأخضعوها لدولتهم[4].

ساهم ظهور هذه الإمبراطوريات في السودان الغربي، بتنشيط حركة التجارة الصحراوية وتنظيمها، خاصة مع بلدان المغرب الإسلامي، في ظل وجود حكام أقوياء ربطتهم علاقات جيدة و متينة مع حكام العالم الإسلامي.

من خلال هذا الفصل يتضح، انه بظهور الدولة الزيانية في المغرب الإسلامي و ببروز ممالك و إمبراطوريات كبرى في السودان الغربي ،كمالي و السنغاي و غانة.....الخ ساهم كل هذا في ربط هذه الدول بعلاقات متميزة ، خاصة بعد

(1)- شوقي الجمل، إبراهيم عبد الرزاق، المرجع السابق،ص95.

(2) - محمد باري، علي كريدية،المرجع السابق، ص136.

(3)- نفسه، ص136.

(4)- شوقي الجمل، إبراهيم عبد الرزاق، المرجع السابق، ص95.

انتشار الإسلام، و ماله من أثر في تقوية أواصر العلاقات بين الحكام و الشعوب و أيضا ساهم الامتداد الطبيعي لبلاد السودان الغربي مع بلاد المغرب التي مثلت المنفذ الحيوي الوحيد في ربطه بالعالم خلال العصر الوسيط ، ببروز تجارة القوافل المختلفة بين كلا من السودان الغربي و الدولة الزيانية.

الفصل الثاني

التجارة بين الدولة الزيانية و السودان الغربي

أولا : واقع التجارة في كلا منهما

1- التجارة في الدولة الزيانية

2- التجارة في السودان الغربي

3- بداية الصلات التجارية

ثانيا : الحواجز التجارية و مواجهتها

1- العراقيل المواجهة للتجار

2- مواجهة التجار للصحراء

سنتحدث في هذا الفصل ، عن أهم العوامل التي ساهمت في تطوير العلاقات بين الدولة الزيانية والسودان الغربي ، ومن خلال تطرقنا للتعريف بالمنطقتين في الفصل السابق، و واقع التجارة في كلا منهما، الذي سنبرزه بعد قليل سيمكننا من معرفة بداية الاتصال التجاري ، وسنتعرف من خلاله على المشقات التي كان يكابدها التجار في تلك القفار الوعرة، ولما كان الأمن والاستقرار ضروريان لأي نمو، سنتطرق من خلال هذا الفصل لدورهما في استمرار حركة التجار بين شمال الصحراء وجنوبها.

أولا : واقع التجارة في كل من الدولة الزيانية والسودان الغربي :

1- التجارة في الدولة الزيانية:

سنتطرق في هذا العنصر إلى ذكر طبقات التجار و بعض الأسواق التي كانت موجودة في الدولة الزيانية.

أ - طبقات التجار:

- **الفئة الأولى** : و تتشكل من التجار الصغار، الذين يشترون رأس مال لا يتجاوز مائتي دينار ، و يزاولون التجارة بمفردهم ، وأغلب هؤلاء يكونون ، إما تجارا مقيمين مستأجرين للدكاكين و المتاجر من كبار الملاك ، أو من الأحباس ، و تجار متجولين[1] و قد أورد المازوني مجموعة من النوازل تتعلق بهؤلاء ، و بين لنا بأنهم كانوا يخرجون الى القرى لبيع سلعهم لسكانها ، ومن بين هؤلاء القبائل العربية ، بني عامر الذين عملوا تجارا متجولين[2].

- **الفئة الثانية** : هي التي يمكنها من توظيف مابين مائتي دينار و خمسمائة ، وتختلف عن الأولى و بذلك تكون حركتها أوسع ، كالانتقال بين مدن الدولة الزيانية وأسواقها

(1)- مختار حساني ، **تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية،ج2**، الجزائر ، منشورات الحضارة 2009،ص 41 .

(2)- أبوبكر يحي بن موسى المغيلي المازوني ، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة ،ج3**، تحقيق ومراجعة : مختار حساني ومالك الزواوي ، الجزائر ، دار الكتاب العربي ، 2009 ، ص36.

كما شارك في عملية المبادلات بين تجار الدولة و الدول الأوربية ، الذين يتوافدون على أسواقها[1].

– **الفئة الثالثة** : تعتبر من أكبر الفئات من حيث الاستثمار ، فأغلب أفرادها يتعاملون في المبادلات التجارية الدولية ، كالقيام بالرحلات نحو السودان الغربي[2] وأحسن ما يمثلها الإخوة المقري ، الذين كانوا يحتكرون تجارة الذهب و يملكون وكالات في الواحات الصحراوية على أطراف الطرق التجارية، و تتميز هذه الفئة عن غيرهم ، أن أفرادها يزاولون التجارة بأنفسهم أو بواسطة مواليهم و عبيدهم[3] .

ولم يكن النشاط التجاري مقتصرا على هذه المجموعات أو الفئات فقط بل كان فقهاء الدولة وعلماءها يزاولون التجارة أيضا.

ب– الأسواق:

شهدت الأسواق تطورا كبيرا في التجارة الداخلية لأن أراضي الدولة الزيانية تحتل موقعا إستراتيجيا هاما ، وعلى الخصوص مدينة تلمسان التي تتحكم في الطرق التجارية الهامة مما جعلها تمتاز بالثراء و الرفاهية[4] .

تنوعت السلع داخل أسواق الدولة الزيانية ، واشتهرت كل منها بنوع معين من المعروضات فالبعض اختصر بالتجارة في المحاصيل الزراعية والبعض الأخر في المنتوجات الحيوانية والأخر في المنتوجات الصناعية وقد كان هناك تكامل بين الأسواق بواسطة تبادل السلع بين المدن والقرى ، فمدن الدولة الزيانية ، كانت تعتمد على القرى لسد حاجياتها من المواد الغذائية والمواد اللازمة للصناعة ، كما كانت المدن تمد أهل هذه القرى بالمصنوعات البسيطة لسد حاجياتهم[5].

---

(1)- مختار حساني، المرجع السابق، ص41.

(2)- نفسه، ص 46.

(3)- نفسه ،ص 24 .

(4)- عثمان الكعاك ، المرجع السابق ،ص 245.

(5)- بن عمرو الطمار ، **تلمسان عبر العصور** ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 ،ص 204.

2- التجارة في السودان الغربي :

تعتبر التجارة من أهم الموارد التي اعتمدت عليها ممالك السودان الغربي ، خاصة التي سيطرت على الطرق الرئيسية التي تمر بها التجارة العابرة للصحراء الكبرى و قد كانت هناك تجارة داخلية متمثلة في الأسواق المحلية التي يرتادها الناس في المحلات القريبة منهم ، كما توجد بعض الدكاكين البسيطة وكانت أغلب البضائع تباع في العراء ولكن إضافة إلى ذلك كانت توجد الأسواق الكبيرة واغلبها يقع في شمال البلاد ، وكانت تجري عن طريقها حركة الاستيراد والتصدير .

أما الأسعار فإنها تختلف من وقت لآخر خاصة أسعار الرقيق الذين كانت تختلف أسعارهم حسب ظروف السوق ، وإجمالا فقد تحكمت الدولة في الأسعار ، و إستطاعت أن تسيطر على مناجم الملح وأن تحدد أسعاره التي جنت منها أرباحا طائلة[1] ، ويذكر ابن حوقل ان الممالك الإسلامية في السودان الغربي كانت حاجتهم للملح ملحة لأنه لاقوام لهم إلا به ، وربما بلغ حمل الملح في دواخل السودان أو أقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار[2] .

ومنه نستطيع القول إن التجارة كانت تساهم في تطوير اقتصاد الممالك السودانية وتعود بالرخاء و الثراء عليها وقد ساعد على ذلك توفر الأمن الذي نعمت به ، وكذلك علاقاتها الخارجية الواسعة.

3- بداية الصلات التجارية بينهما:

لقد أثر انتشار الإسلام في المنطقة تأثير إيجابيا ، على النشاط التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها ، بحكم ان الإسلام " فتح أمامها أبواب العالم الإسلامي و باتصالهم بإخوانهم المسلمين كسبوا الكثير من المعارف منها فنون التجارة "[3] (أنظر الملحق رقم:04).

---

(1)- عطية القيتوري ، المرجع السابق ،ص 321.

(2)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98.

(3)- يونس مفتاح الرياصي ، إزدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصور الوسطى مجلة السائل ، ليبيا ، كلية الآداب ،د ت ، ص91.

إن العلاقة التجارية بين بلاد المغرب والسودان والغربي ، سبقت وصول الإسلام الى المنطقة بعدة قرون ، حيث حدثنا هيرودوت عن خمسة من الشباب انطلقوا من منطقة سرت و اتجهوا جنوبا بهدف اكتشاف مناطق وسط إفريقيا*، كما دلت رسوم العربات المنتشرة على الصخور والكهوف على طول طرق القوافل القديمة من الهقار الى السودان الغربي ، على عراقة الصلات التجارية بين المنطقتين[1] .

استمرت العلاقات التجارية بين المغرب والسودان ، بعد قدوم الفينيقيين للمنطقة خاصة بعد قيام دولة قرطاجة في شمال إفريقيا ، فازدهرت تجارتها مع بلاد السودان وكان من أبرز البضائع التي جلبت من تلك المنطقة الذهب والرقيق[2] ، وحتى سنة 500 ق . م كان تجار قرطاجة مع سكان تيبسيتي الذين يعيشون في بلاد ممطرة كثيرة التماسيح[3] ، وهذه الصفات المناخية تنطبق الى حد كبير على منطقة السودان الغربي المعروف ان التماسيح لاتعيش إلا قرب البحيرات و الأنهار ، مما يدل على وصول التجارة القرطاجية إلى تلك المنطقة.

لقد ظهر عامل مهم في إزدهار التجارة بين الشمال والجنوب عبر الصحراء ، وهو دخول الجمل الى مجال النقل التجاري في القرن الرابع للميلاد[4] ، وقد تزامن دخول الجمل مع التغيرات المناخية التي بدأت تشهدها المنطقة ، والمتمثلة في نقص الأمطار تدريجيا ، واقتصار وجود الماء ، على الواحات المتناثرة ، مما جعل الضرورة ملحة الى وجود وسيلة نقل تتحمل العطش لمسافات طويلة[5].

---

* **وسط إفريقيا:** لقد وردت في تاريخ هيرودوت إشارات عن وجود اتصالات بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، فقط ذكر أن الجرمانيين كانوا يصطادون الأثيوبيين من سكان الحفر أو الكهوف في مركبات صغيرة تجرها أربعة خيول والمرجح أن هؤلاء الأثيوبيين هم سكان جبال تيبسيتي . الرياضي ،المرجع السابق ، ص103.

(1) - فيصل محمد موسى ، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ليبيا** ، منشورات الجامعة ، 1997 ،ص 49.

(2)- هوبكنز ، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية** ، ترجمة : أحمد فؤاد بلبع ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1998 ص 158.

(3)- فيج جي دي ، **تاريخ غرب أفريقيا** ، ترجمة السيد يوسف ، القاهرة ، دار المعارف ، 1982،ص 45.

(4)- الرياضي ، المرجع السابق ،ص 93.

(5)- في جي دي ، المرجع السابق ،ص 42.

ولكن العلاقات لم تكن منتظمة ، لمدة طويلة ، الى القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي[1] حيث حدث تطور في هذا المجال لسببين هامين:

"يتمثل أولها في قطع الرحلات التي كانت تتم عبر محور شمال شرق ، جنوب غرب بين واحات مصر وجنوب تونس ، وبين مصب نهر النيجر[2]، لما كان التجار يعانونه من التعرض للعواصف ، وقساوة الظروف المناخية ، واعتداءات البدو على قوافلهم وتعويضها برحلات غير مباشرة ، عن طريق النواحي الغربية لبلاد المغرب ، أي المغربين الأوسط و الأقصى ، وهي رحلات أطول لكنها أقل خطرا وخاصة منذ عهد أمير مصر أحمد بن طولون (254–270 هـ/868 – 884م)*.

"أما ثانيهما فيتمثل في تأسيس دولة المرابطين ، التي كان لها الفضل في إقامة علاقات جديدة بين منطقة بلاد المغرب والسودان[3].

وقد نتج عن تغير طرق الرحلات التجارية ، وقيام دولة المرابطين ، ظهور تبادل تجاري منتظم بين المناطق الغربية لبلاد المغرب ، ومن بينها تلمسان ؛ وبين بلاد السودان الغربي وأصبح المغرب الأوسط أهم منطقة تتاجر مع وسط إفريقيا الغربية لاسيما في عهد الموحدين بحكم موقعها الجغرافي ، وبسبب وجود طرق مختصرة بينهما[4].

---

(1) -Devis, **Route de commerce et échange en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée** dons revue d'histoire économique et sociale,la première partie, paris 1972 p45.

(2) -Devis, ipid, p 49.

* وكان أحمد بن طولون ، قد منع استخدام الطريق المباشر بين بلاده ، ومملكة غانة ، بسبب ما كان المسافرون يتعرضون له فيه من أخطار . من خالد بلعربي،الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني،دورية كان التاريخية العدد6،ديسمبر 2009ص32.

(3)- عبد اللطيف دندش ،المرجع السابق، ص 79 .

(4)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص34.

عندما سقطت الدولة الموحدية ، 668 هـ/269 م حلت المبادرات الخاصة ، محل المبادرات الرسمية في حماية التجارة ، التي بقيت نشطة عبر الصحراء ، رغم المشاكل المتنوعة التي كانت تعترضها .

ولم يخف على حكام الدولة الزيانية ، أهمية التبادل التجاري ، منذ وقت مبكر لاعتقادهم أن ثروة الدولة ، تكمن في امتلاك أكبر كمية من الذهب ، وهذا هو التفكير الذي كان سائدا في العصور الوسطى[1] ، وهذا ما فسر محاولة الأمير يغمراسن (633-681 هـ/1235 -1283 م) ، الإستيلاء على سجلماسة ، محطة القوافل في طريق جنوب الصحراء ، ودخوله في صراع مع المرينين من أجل السيطرة عليها ، وقد استولى عليها سنة 662 هـ 1264 /م ، لكن الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني احتلها في صفر سنة 673 هـ 1274 /م.

و كان العرب المقيمون بالمغرب الأوسط ، من ذوي عبيد الله ، من المعقل ، وبني عامر من زغبة يمارسون التجارة مع بلاد السودان ، وكان ذوو عبيد الله يقومون برحلة في الشتاء كل سنة من بلادهم الواقعة قبلة (جنوب) تلمسان[2]. فيتوجهون إلى قصور توات و عين صالح ، ومنها إلى أرض السودان* وقد استمرت الحركة التجارية نشطة بين الدولة الزيانية والسودان الغربي ن إلى القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ولما أخذت تضعف أثناءه ، تأثر إزدهار الممالك السودانية الذي كان قائما عليها إلى حد كبير ، حتى أن سلطان بورنو ، كان قد بعث برسالة إلى علماء توات ، يذكر لهم فيها أن التجار لم يعودوا يقصدون بلاده بأعداد كثيرة كما كانوا يفعلون من قبل[3] .

---

(1)- خالد بلعربي، المرجع السابق ، ص35.

(2)- نفسه ، ص 39.

* حسب خالد بلعربي، فإن التجار كان يعتمدون على حماية بعض الفرسان من ذو عبيد الله ، في الجزء الأخير من الطريق نظرا لطوله من ناحية، وكبر حجم قوافلهم من ناحية أخرى ، المرجع السابق ، ص36.

(3)- عبد القادر زبادية ،**الحضارة العربية والتأثير الأوربي في أفريقيا جنوب الصحراء**،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989،ص145.

و يرد موني (Mauny)النقص الذي طرأ على عدد التجار،بين توات وبلاد السودان إلى تصدي الطوارق لليهود ، الذين سيطروا على التجارة في المنطقة ، ومنعهم من المرور[1]

إلا أن الحركة التجارية لم تتوقف إلى الأبد ، إذ سرعان ما نشطت من جديد ، في عهد مملكة السنغاي ، التي أصبح ملوكها يهيئون الظروف الملائمة لاستقبال التجار في وطنهم ويوفرون لهم الأمن ، ويستقبلونهم في قصورهم[2].

ونستنتج من ذلك أن الصلات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي ، لعبت دورا بارزا في دعم الروابط بين المنطقتين ، وساهمت في توسيع شبكة الاتصالات وكانت هذه العلاقة قديمة ومتنوعة ، وقد مهد لذلك المسالك الصحراوية والطرق التي يسرت السبل أمام التجار.

ومع ذلك لم تخل الرحلات التجارية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي ، من مخاطر وصعوبات ، أعطت لتجارة القوافل معنى كبير ، و أهمية خاصة ، ذلك لما فيها من تحدّيات.

ثانيا: الحواجز التجارية و طرق مواجهتها :

إن شساعة الصحراء الكبرى ، التي تفصل الدولة الزيانية ، عن السودان الغربي وصعوبة المسالك فيها ، ومشقة الطريق ، تؤدي إلى تعرض التجار أثناء رحلتهم لعدة أخطار منها :

(1)- خالد بلعربي،المرجع السابق ، ص35.

(2)- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ،ص213 .

1- العراقيل المواجهة للتجار:

أ-ندرة الماء : كانت ندرة الماء وبعد المسافات، من أخطر المشاكل التي كانت تواجهها القوافل التجارية ، فالمسافر إلى بلاد السودان يتعرض إلى العطش ، لذا فهو يختار الطريق الذي يتوفر فيه الماء على مسافات متقاربة أي على بعد كل يومين أو ثلاثة[1].

لأنه من النادر العثور عليه كل يوم ، وربما لا يعثر عليه إلا بعد أسبوع أو أسبوعين[2] و يسجل الوزان قلته في بعض المناطق ، خاصة بين ايوالاتن وتمبكتو حيث لا يوجد إلا بعد مائة أو مائتي ميل ، وكذلك على طول الطريق الرابط بين سجلماسة وتمبكتو ، حيث لا يعثر عليه طيلة مائتي ميل[3].

فالخطر الرئيسي و الطبيعي إذا ، يتمثل في هذه الظاهرة ، لأن مناخ الصحراء قاري ، والمدى الحراري اليومي فيها كبير ، وماؤها قليل ، فالمسافر يقطع عشرات الكيلومترات دون أن يعثر على بئر ، أو عين ماء ، أو مجرى فيستبد به العطش إلى أن يهلك أحيانا[4]. وقد وصف ابن بطوطة ، أثناء رحلته من تغازى إلى ايوالاتن ، حدثا من هذا النوع ، فقال: " ولقد لقينا قافلة في طريقنا ، فأخبرونا أن بعض الرجال انقطعوا عنهم فوجدنا أحدهم مبتا تحت الشجرة... وعليه ثيابه ، وفي يده سوط ، وكان الماء على نحو ميل منه "[5].

وقد حاول المسافرون إيجاد حلول لهذا المشكل ، فراحوا يتكيفون مع الظروف الطبيعية التي تختلف من منطقة لأخرى ، مستغلين في ذلك كل الوسائل ، بدءا بتخزين ماء المطر ، في الأماكن التي يتوفر فيها.

---

(1)- ابن بطوطة أبو عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي ، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج2، المغرب، المطبعة الخيرية، 1322 ه، ص243.

(2)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص36.

(3)- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا** ،ج2،ط2، ترجمة : محمد حجي ، محمد الاخضر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1983،ص148.

(4)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص37.

(5)- ابن بطوطة ، المصدر السابق ،ص 231.

ويعتبر الاعتماد على مثل هذا الماء مغامرة ، لأن توفره ، يبقى رهن الصدف فالمطر في الصحراء لا ينزل بانتظام ، وكمياته متذبذبة ، وسرعان ما يتبخر لشدة الحرارة ولغياب الصدفة الحسنة ، يتسبب في هلاك رجال القافلة[1].

ويلجأ المسافرون أحيانا إلى شراء الماء و إذا تعذر الحصول عليه لجئوا إلى بقر بطون الحيوانات مثل الجمال ، و البقر الوحش لشرب ما إكتنزة من ماء*.

أما الآبار أو الأحساء* ، التي تزودهم بما يحتاجون إليه من ماء ، فغالبا ما توجد عند مفترق الطرق ، ومنها التي توجد في المدن[2].

ب- **الرياح والعواصف** : تؤثر الرياح القارية الجافة ، والعاصفة الرملية الفجائية كثيرا على القافلة ، وتلحق بها أضرارا جسيمة ، إنها من أكبر أعداء القوافل الصحراوية ، فهي تحمل ذرات الرمال الدقيقة ، وتدفع بها إلى كل أجزاء جسم الإنسان ، فتصيبه كالسكاكين الحادة ، ويكون ألمها مريعا ، وإذا تراكمت ذرات الرمال حول الواقف قبرته في بضع دقائق ، ولذا لابد من سرعة الحركة أثناء هبوب العاصفة[3].

ج- **الضياع** : ومن الأخطار المألوفة في الصحراء أيضا ، الضياع ، فلا تظهر بها الطرق ولا آثارها ، وسطحها عبارة عن رمال تنقلها الرياح فتصنع منها كثبانا في مكان ثم تنقلها الى آخر . والنتيجة الحتمية للضياع هو الموت ، وقد لجأ التجار الى المحافظة على وحدة القافلة لتفادي هذا الخطر ، وذلك بوصل ذيل الجمل الأول برأس الجمل الثاني بحبل ، ولابد أن يكون الجمل الأول قد تدرب قبل ذلك[4] . وقد كان الخوف من الضياع

---

(1)- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص37.

* **البقر الوحش:** هذا النوع من البقر إذا قتلت الواحدة منه ، وجد في بطونها الماء "ولعل أهل مسوفة يعصرون الكرش ويشربون الماء الذي فيه " .ابن بطوطة ، المصدر السابق ،ص 232.

(2)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص37.

* **الأحساء :** مفرده الحسي، قريبة من القعر ،قيل أنه لا يكون إلا في أرض أسفلها حجارة ، وفوقها رمل ، فإذا أمطرت نشفه الرمل ،فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته . أنظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، **لسان العرب**،ج2،ط3 ،لبنان ،دار صادر ، 2004، ص193.

(3)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص37.

(4)- نفسه ، ص37.

يستبد بنفوس المسافرين عبر الصحراء الى حد جعلهم يلقون مسؤولية ذلك على الشياطين وهو ما عبر عنه إبن بطوطة بقوله ": وتلك الصحراء كثيرة الشياطين ، فإن كان التكشيف منفردا ، لعبت به وإستهوته حتى يضل عن قصده ، فيهلك ...." [1]

د- **قطاع الطرق** : زيادة عن الأخطار الطبيعية ، هناك أخطار أخرى تتمثل في تعرض رجال القافلة التجارية لمضايقات قطاع الطرق في مناطق مختلفة شمال وجنوب البلاد وفي الطريق الرابط بين تلمسان و فاس ، وحولها يوجد لصوص ، اغلبهم من الأعراب[2]

ينشطون خاصة في فصل الشتاء ، منتهزين في ذلك فرصة رحيل القبائل المكلفة بحراسة الطريق إلى الجنوب و يصف العبدري المنطقة الواقعة جنوب غرب تلمسان بأنها " : من اضر بقاع الأرض على المسافرين لان المجاورين لها من أوضع خلق الله و أشدهم إذاية"[3]. كما كانت بعض القبائل الرحل تنتشر حول الطريق التجاري ، في المنطقة الممتدة بين جبال الأطلس الصحراوي و بلاد السودان ، لتأخذ ما تحتاجه من القافلة ، فقد اعترض قافلة إبن بطوطة ": في بلاد الهقار ....طائفة من البربر الملثمين ....." [4] فقراء لم يسمحوا لأصحابه بالمرور إلا بعدما عزموا لهم " أثوابا وسواها "[5].

2- طرق مواجهة التجار للصحراء:

كانت القافلة التجارية تحافظ على أمنها ، باعتمادها على عدة وسائل منها: أن الدولة الزيانية عندما كانت في أوج قوتها ، قامت ببناء أبراج للمراقبة في النقاط الإستراتيجية من الطرق الشمالية[6] ، كما كانت تدفع مبالغ من المال ، للقبائل المنتشرة حول الطرق حتى تحرسها وتضمن الحماية الضرورية للتجار[7] ، ولما ضعفت الدولة فقد

---

(1)- ابن بطوطة ، المصدر السابق ،ص 233.

(2)- حسن الوازن، المصدر السابق،ج 2،ص9.

(3)- محمد العبدري البلنسي ، **الرحلة المغربية** ، تقديم : سعد بوفلاقة ، الجزائر ، منشورات بونة، 2007،ص28.

(4)- ابن بطوطة :المصدر السابق ،ص 236 . ولقد انتشرت الأعراب، في الطريق الرابط بين تلمسان سجلماسة وكانوا يتعرضون سبيل القوافل التجارية أيام ابن خلدون أنظر ج7،ص138.

(5)- ابن بطوطة ، المصدر السابق ،ص 236.

(6)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص38.

(7)- حسن الوزان، المصدر السابق, ص 11.

الأمن و الاستقرار ، في ربوعها ، حتى أن حسن الوازن يسجل ذلك ، في بداية القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، " إنه من النادر إيجاد بعض الطرق المضمونة في هذا البلد "[1].

كما عملت بعض ممالك السودان ، مثل مالي ، على توفير الأمن الذي استمر طيلة القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وقد لفت ذلك نظر ابن بطوطة ، فتحدث عن " شمول الأمن في بلادهم ، فلا يخاف المسافر فيها، ولا المقيم، سارقا أو غاصبا "[2] ولم يكن الاعتماد على الدولة كافيا ، بل كان لابد من اللجوء الى وسائل أخرى ، أهمها :

أ – **الدفاع عن النفس:** إذ كان بعض التجار يحملون السلاح لاستخدامه عند التعرض للاعتداءات ، ويستعين البعض بحراس مسلحين من بعض قبائل البدو[3] وأحيانا يلجئون الى استعمال عدد كبير من العبيد لهذا الغرض[4] ، في طرق بلاد السودان كما يتجمع التجار في قوافل ، للتعاون في الدفاع .

ب– كما كان التجار ، يتقون شر اللصوص ، الذين كانوا ينتشرون في أغلب الطرق بدفع إتاوة مرور وحماية لشيوخ القبائل التي يجتازون مواطنها[5].

ج– والشيء الذي تجدر الإشارة إليه في حماية القافلة ، هو أن اختراق تلك المجابات الوعرة والقفار القاحلة ، وتلك الصحراء الواسعة ، يتطلب رجالا خبراء بطبيعة تلك المسالك ، التي لا تسلك إلا بوجودهم ، لقد كان وجود هؤلاء الرجال بين التجار ، وحتى الفاتحين المسلمين ، أمرا ضروريا لضمان وصول القوافل الى أهدافها ، وعدم انحرافها عن تلك المسالك ، التي يجب أن تعبر ، ولقد أطلق على القائمين لهذا الدور اسم الأدلاء أو المرشدين ، الذين ارتبط اسمهم بطرق القوافل منذ القديم[6] .

---

(1)- حسن الوزان، المصدر السابق، ص 09.

(2)- ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 240.

(3)- خالد بلعربي ، المرجع السابق ،ص 99.

(4)- حسن الوزان، المصدر السابق، ص172.

(5)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص 99.

(6)- نور الدين شعباني ،المرجع السابق ،ص 73.

و يتشكل هؤلاء الأدلاء ، من القبائل البربرية المنتشرة في الصحراء، والمعزولة عن الحياة المدينة ، ومن أشهرها قبائل بني مسوفة[1] ، الذين يصفهم ابن حوقل بكونهم أكثر القبائل الصحراوية عددا ، ويعيشون في قلب الصحراء بالقرب من المصادر المائية المهمة ويقتاتون بالحليب واللحم ، ويتمتعون بالفطنة والقوة أكثر من غيرهم ، ولديهم أمير يحكمهم ويسّير أمورهم ؛ يحظى بتقدير قبائل صنهاجة والقبائل الأخرى ، لكونهم يعتبرون أسياد الطرق ، كما يتمتعون بالكرم ، ولديهم الخبرة ومعرفة عميقة بطبيعة الأرض، والقدرة على اكتشاف الطريق الصحيح حتى في الضباب والليل القاتم الخالي من النجوم ، كما يملكون القدرة على اكتشاف مصدر المياه ، حتى من خلال وصف بسيط [2].

إذن تكمن أهمية المرشدين، في ضمان وصول القوافل الى أهدافها ، وعدم انحرافها عن مسارها ، لذلك يمكن أن نقول بأن استمرار تدفق القوافل على أسواق السودان والعكس يعود الفضل فيه كثيرا لهؤلاء الأدلاء ، أي أن لهم الدور الكبير في استمرار تلك العلاقات التجارية بين الدولتين.

(1)- ابن حوقل، المصدر السابق، ص63.

(2)- نفسه، ص99.

الفصل الثالث

الطرق والمراكز التجارية

أولا: مراحل الطرق التجارية

1- المرحلة الأولى

2- المرحلة الثانية

ثانيا:المراكز التجارية

1- مراكز الدولة الزيانية

2- مراكز السودان الغربي

ثالثا : أهم المحطات التجارية

1- سجلماسة

2- توات

3- أودغست

أولا : الطرق التجارية ومراحلها:

لعبت الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى ،أدوارا كبيرة وهامة في تاريخ المنطقتين ، الواقعتين على طرفيها الشمالي والجنوبي ، وتعد حلقة الوصل الأساسية التي حافظت على استمرار العلاقات التجارية بين الدولة الزيانية والسودان الغربي، بل تعد أيضا مظهرا يشهد على وجودها .

وتظهر هذه الطرق في الخرائط على شكل شبكة من الخطوط المتقاطعة (أنظر الملحق رقم:05) ، والمتوازية فالأودية المنحدرة من الأطلس الصحراوي ، اتجاه الجنوب والجنوب الغربي ، أو الشرقي تكون ممرات تنمو بها بعض الأعشاب ، في العروق والحمادات ، كما يجعل الحياة البشرية والحيوانية ممكنة فيها ، ولو لفترة وجيزة من السنة ، ويؤدي إلى فتح طرق تسهل تنقل القوافل التجارية في الصحراء [1] .

وكانت القوافل منذ القرنين الحادي عشر ، والثاني عشر الميلاديين، الخامس والسادس الهجريين، تخرج من الدولة الزيانية ، فتتجه غربا ، وشرقا ،نحو فاس سجلماسة وتوات، ومن هناك تأخذ طريقها نحو السودان[2]، فتقطع رحلاتها على مرحلتين كبيرتين :

1- المرحلة الأولى : وتنتهي عند حد سجلماسة أو توات ، ويربط بين كل محطة من هذه المحطات وبين الدولة الزيانية طريق[3] ، وأهم هذه الطرق:

"**طريق تلمسان- سجلماسة** : وينقسم بدوره الى فرعين :

1- يبدأ من تلمسان عبر وجدة[4] وبينهما ثلاثة مراحل[5] ، ثم يصل الى تاوريرت بعدها

(1) - خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص39.

(2)- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص85.

(3)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص39.

(4)- ابن الأحمر،المصدر السابق ،ص87.

(5)- البكري ،المصدر السابق،ص 88.

فاس ،التي تفصلها عن تلمسان مسافة عشرة أيام[1] ، ثم يتجه نحو الجنوب حيث يقطع بعض المدن ، ومنها صفروى*،واغمات وريكة* ، وواد درعة*، وتسير شرقا حتى تصل الى سجلماسة[2].

2- فرع آخر ، يربط تلمسان بوجدة ،ثم بجبل تامريت ، الواقع على مسيرة يومين الى الجنوب من تلمسان ، ثم يقطع واد ملوية الى الجنوب بإتجاه سجلماسة[3] ، ومدة السفر فيه حوالي خمسة عشر يوما، فهو أقصر من سابقه لكنه أكثر خطرا ،لذلك يفضل أصحاب القوافل ، إتباع الفرع الأول في غالب الأحيان[4](أنظر الملحق رقم:05+06).

- **طريق تلمسان – توات*** : ويقطع الهضاب الإستبسية، عبر مرتفعات جنوب تلمسان وحوض واد مفروش ، الى ممر جبل ترني ،عند سفح جبل الناظور ، فحوض تافنة في اتجاه سبدو ، ومن هناك ينقسم الى :

- فرع يشق نعامة وأولاد سيدي عيسى ،الى أن يصل الى توات ،ويقطع هذا الطريق، في مدة أربعة وعشرين يوما[5]

---

(1)- القلقشندي ،المصدر السابق ،ص 156.

(2)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص 45.

-* **صفروى** : يذكر الإدريسي على " أنها على مرحلة من فاس ، ومدينة صغيرة مستحضرة ،لها أسواق قليلة " الإدريسي،المصدر السابق ،ص 145.

*أغمات وريكة: يفصل الاثنين ثمانية أميال ،المدينة الأولى مخصصة لأهل المنطقة ، والثانية للتجار والغرباء .البكري، المصدر السابق ،ص 153 .ويذكر القلقشندي أنها مدينة واحدة كانت قاعدة ملك يوسف ابن تاشفين ، قبل بناء مراكش . المصدر السابق، ص 171.

*واد درعة : نهر ينبع من الأطلس ، وينحدر الى جهة الجنوب .حسن الوزان،المصدر السابق ،ص 254.

(3)- البكري ،المصدر السابق،ص 88.

(4)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص46.

* **توات:** يذكر في هذا الطريق العديد من الأماكن التي تقع في غرب وجنوب الجزائر حاليا،فلذلك رينا أنه من الأفضل عدم الإطالة بتوضيحها.

(5)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص47.

– وفرع ثان : يتجه الى سبدو في جنوب تلمسان، ويعبر عسلة وبوسمغون الى تيميمون في تسعة عشر يوما[1].

– وفرع ثالث يمر عبر منطقة أولاد سيدي الشيخ ، لينظم الى طريق القوافل التي تنطلق من جبال قصور وجبال عمور، فتقضي اثنين وعشرين يوما لتصل الى تيميمون ويخرج[2] من هذا الطريق عدة فروع من بينها:

الطريق الرابط بين وجدة وفقيق (فيجيج) وقورا رة ثم تيكورارين* ، التي تبعد عنها، بحوالي مائة وعشرين ميلا الى الشرق ، وهي نقطة تجمع القوافل الى السودان[3] ، وتستغرق الرحلة فيها عشرين يوما .

وتنعطف القوافل أحيانا الى الشرق ، فتتجه من توات الى عين صالح ، وتقطع تلك المسافة في ثمانية وعشرين يوما[4].

وهناك طريق مباشر ، بين تلمسان وعين صالح ، طوله 1280 كلم ، ويقطع في اثني وثلاثين يوما[5].

بفضل هذه الشبكة من الطرقات ، كان الاتصال بين تلمسان وبين هذه المحطات يوميا تقريبا[6].

2– المرحلة الثانية: وهي التي تربط ، توات سجلماسة بمدن السودان الغربي مباشرة والتي تعد آخر مرحلة بالنسبة لتجار الدولة الزيانية ، والمغاربة القادمين الى السودان الغربي، وتشمل هذه المرحلة الطرق الآتية :

---

(1)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص 48.

(2)- نفسه ،ص 48.

* **تيكورارين :** تقع على بعد عشرة مراحل قبلة تلمسان ،وهي عبارة عن مجموعة قصور تقارب المائة ، ابن خلدون، المصدر السابق ،ج 7ص138.

(3)- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 78.

(4)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص40.

(5)- نفسه ، ص41.

(6)- يحي بوعزيز ، إفريقيا الغربية الإسلامية ،ص 41.

- **طريق سجلماسة – غانة:** وهو طريق يمر وسط صحراء نيسر القاحلة[1] ، يكابد فيها التجار شدة العطش ، ووهج الحر، يضطرون في بعض الأحيان الى نحر جمالهم لشرب ما في بطونها من ماء[2].

ويبلغ طول هذا الطريق خمسين مرحلة بسير القوافل ، لهذا كان التجار يفضلون سلوك هذا الطريق في فصل الشتاء[3] ، ويعد هذا الطريق الطويل ، خالي من المدن بإستثناء بعض المراكز التجارية المحدودة في بلاد السودان ، مثل أودغشت ،التي كان يهتدي بها التجار في تلك الصحاري[4].

إذن فهذا الطريق كان يتفرع الى فرعين ، فواحد يتوجه نحو غانة عبر أود غشت أين تستغرق المسافة بين غانة وأود غشت بضعة عشر يوما ، ويمر هذا الطريق بمدينة ولاته* عبر غانة[5].أما الآخر فيتجه نحو غانة عبر تغازى* ،لكنه طريق ثانوي خطير[6] يصفه الإدريسي بأنه كان خلال منتصف القرن 6هـ / 12 م ، " طريق مجهول الآثار ، دارس المسالك ، قليل السكان ، ماؤه غائر وعلامته خفية "[7].

- **طريق سجلماسة – تمبكتو:** وظهر هذا الطريق ببروز تمبكتو كمحطة تجارية[8] هامة، وهو الطريق الذي سلكه ابن بطوطة لدى سفره الى مالي، والذي يمتد من سجلماسة

---

(1)- الإدريسي ،المصدر السابق ،ص 32.

(2)- ابن سعيد ، المصدر السابق ،ص 113.

(3)- نفسه ، ص 114.

(4)- نور الدين شعباني ،المرجع السابق ،ص 99.

(5)- نفسه ، ص 100.

*ولاته: يصفها ابن بطوطة بإيوالاتن ،على أنها أول عمالة السودان ،وأنها تبعد عن سجلماسة بمسيرة شهرين .المصدر السابق ، ج2،ص231.

*تغازى: تقع في جنوب المغرب الأقصى ، بقرب البحر المحيط ، وتعتبر المصدر الرئيسي للملح .القزويني ، المصدر السابق ،ص 25 .

(6)- الإدريسي ، المصدر السابق ،ص 87.

(7)- نور الدين شعباني ،المرجع السابق ،ص 100.

(8)- ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 231.

الى تغازى، ومنها الى ولاته ، والتي يعتبرها ابن بطوطة أول عمالة السودان ، وتمتد المسافة من سجلماسة الى ولاته شهرين كاملين[1] ، ومن ولاته يتجه المسافرون الى تمبكتو، على مسافة أربعة وعشرون يوما ، ثم نهر السنغال ، ومنه الى تمبكتو[2].

ولكن هذا الطريق لا يخل من الصعوبات ، بل يعتبره حسن الوزان أكثر وعورة من الأول حيث تؤدي صعوبة المرور به، الى موت العديد من الناس والدواب،لفقدان الماء[3].

- **طريق توات – ولاته** : مرورا بتغازى وتدوم الرحلة فيه خمسة وثلاثين يوما.

- **طريق توات – تكدة** *: عبر هضبة الهقار التي أصبحت نقطة التقاء القوافل، بفضل مراعيها وحقولها وواحاتها.

وهكذا تعمقت الصلات، وازدادت حركة القوافل، بفضل هذه المسالك البرية المتعددة والمتنوعة ، وساهمت في ظهور مراكز ومحطات تجارية.

ثانيا : المراكز التجارية

كانت الطرق التجارية ، مرتبطة بمراكز ومدن هامة في الشمال والجنوب، و اشتغلت أعداد كبيرة من سكان هذه المراكز بالتجارة الداخلية والخارجية ، واتصلت بطرق التجارة العالمية البرية ، فكانت صلاتها بموانئ البحر المتوسط من ناحية ، والسودان الغربي من ناحية أخرى ، واشتهرت العديد من المدن على أنها مراكز الدولة الزيانية:

1- مراكز الدولة الزيانية:

أ - **تلمسان:** تعد قاعدة المغرب الأوسط خلال القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد حيث كانت دار ملك بني عبد الواد الزيانيين[4] ، ويقول عنها الإدريسي "إن لها

(1)- ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 232.

(2)- حسن الوزان، المصدر السابق، ص150.

(3)- ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 231.

*تكدة : تقع الى الجنوب الغربي ، من تنبكت ، وإشتهرت بإنتاج النحاس . هادي مبروك الدالي ، المرجع السابق،ص 310 .

(4)- ابن سعيد ، المصدر السابق ،ص 140 .

نهرا من جبلها المسمى بالصخرتين ،إن هذا الوادي يمر في شرقي المدينة وعليه أرجاء كثيرة وما جاورها من المزارع كلها سقي ، ..... وبالجملة إنها حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومربح تجارتها ، ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه منهم حالا. "[1] اشتهرت تلمسان خلال عصر الموحدين ، لكن تألقها كان خلال القرن السابع للهجرة،الثالث عشر الميلادي ، بعدما تمكن يغمراسن بن زيان ، شيخ بني عبد الواد من الاستقلال عن الموحدين ، وتحولت تلمسان بذلك الى أكبر مركز تجاري في بلاد المغرب بالنسبة لبلاد السودان[2].

وكان تجارها أناس طيبون ، أوفياء في تجارتهم، معتزون بالنظام والحضارة وحسن التدبير مهذبون مع الأجانب ،وأهم تجارتهم مع السودان ، ويتاجرون بالتبادل محققين كثيرا من الربح حتى لتكفي رحلتان أو ثلاث ليستغنى التاجر، الأمر الذي يحملهم على أن يخترقوا رمال ليبيا متعرضين لأخطار عدة "[3] ،كما أسهمت أسواق تلمسان بنصيب وافر في التجارة الداخلية والخارجية، لكونها تقع على أهم طرق التجارة، إذ تعد " قفل بلاد المغرب ، وهي على رصيف للداخل والخارج منه" ، وساعد هذا على إزدهار أسواقها خاصة وأنها كانت تتميز عن غيرها ،من المدن المغربية بصناعة الخيل وسروجها [4] وكانت تلمسان المركز الرئيسي في شمال إفريقيا للتجارة في شفرات السيوف[5] ، وظلت تلمسان متألقة رغم التقلبات السياسية ولم يعرف ثراؤها الأفول[6] ، واستطاعت تلمسان خلال 7و 8 هـ / 13-14 م ، أن تحل محل مراكش كمركز للتجارة الصحراوية المنتعشة في ذلك الوقت[7].

---

(1)- الإدريسي ، المصدر السابق ،ص 80.

(2)- نور الدين شعباني ،المرجع السابق ،ص 112.

(3)- كربخال مارمول ، **إفريقيا**،ج2 ، ترجمة : **محمد حجي** ، محمد زنيبر ،محمد الإخضر ، المغرب ، المعارف الجديدة 1989 ، ص300.

(4)- عمرو الطمار، المرجع السابق ،ص 204.

(5)- هو بكينز ، المرجع السابق، هامش:ص 162.

(6)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص45.

(7)- هزدي روجر إدريس ، **تاريخ إفريقيا العام** ،ج **4**،بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1988، ص124.

ب-هنين : إن الدولة الزيانية في عصرها الذهبي، كانت تطل على الساحل يمتد من دلس شرقا ، الى وادي ملوية غربا ، وهو ما جعلها تمتلك مجموعة من الموانئ لها أهمية في التجارة الدولية ومن بينها ميناء هنين[1] ، باعتباره همزة وصل وطريق تجاري هام ، يربط الشمال بالجنوب ويسمح بالتبادل التجاري ، ويقول الإدريسي عن هنين " مدينة حسنة صغيرة، في نحر البحر، وهي عامرة عليها سور متقن ،وأسواق بيع وشراء ، وخارجها زراعات كثيرة وعمارات متصلة "[2].

وكانت حلقة وصل بين أوربا وبلاد السودان، وميناءها محطة للسفن التجارية التي تجول البحر الأبيض المتوسط ، وبذلك كانت المدينة محطة أنظار التجار من البلاد الإسلامية والممالك الأوربية[3].

وهكذا كانت هنين من أحسن المنافذ البحرية للدولة الزيانية وخاصة لتجارها.

ج- وجدة : تقع على الطريق الرابط بين تلمسان وفاس ، أغلب سكانها من التجار[4] تبعد على العاصمة الزيانية بحوالي ثلاث مراحل[5] ، وهي محطة القوافل المتجهة منها الى المغرب الأقصى، أو العائدة منه إليها[6].

أسهمت المراكز التجارية في الدولة الزيانية بنصيب وافر في تجارة القوافل، لكونها تقع على أهم الطرق التجارية .

2- مراكز السودان الغربي :

كان في السودان الغربي العديد من المراكز التجارية ، وسنحاول إلقاء الضوء على المراكز التى إزدهرت أثناء عصر الدولة الزيانية ، وأبرزها :

(1)- مختار حساني، المرجع السابق ،ص 143.

(2)- الإدريسي ،المصدر السابق ،ص 81.

(3)- حسن الوزان ،المصدر السابق ،ص 15.

(4)- البكري ، المصدر السابق ، ص88.

(5)- نفسه ،ص 88.

(6)- خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص46.

أ- **تمبكتو** : أسس هذه المدينة طوارق مقشرن حوالي 494 هـ/ 1100 م [1]. على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحى نهر النيجر[2] ، وقد مكنها موقعها المتميز ، من أن تلعب دورا مهما في إقتصاد شمال وجنوب الصحراء . وقد إكتسبت هذه المراكز التجارية أهمية إستراتيجية، فهي تستقطب الطرق الصحراوية المؤدية الى الشمال (المحيط الاطلسي) والشرق (ليبيا ومصر)، والجنوب في نفس الوقت[3].

لقد مثلت التجارة المصدر الرئيسي في حياة سكانها، وبذلك إهتموا بها إهتماما كبيرا وتوافد عليها التجارة من داخل السودان الغربي ، ومن خارجه ، وخاصة من شمال الإفريقي وفي مقدمتهم المغرب وليبيا[4]، فكان تجار سجلماسة ، وفاس ، والسوس وتلمسان، وفزان وغدامس وغيرها ،في حركة دؤوبة معها ،يحملون معهم بضائعهم ويعودون محملين بالذهب، والرقيق ،وناب الفيل ، وريش النعام ، وغيره[5] .

وقد بلغت تمبكتو ذروة الإزدهار الإقتصادي، في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، الذي عرف بالعصر الذهبي ، لتلك المدينة ، وقد بلغت القوافل القادمة إليها من الشمال الإفريقي في سنة751 هـ/ 1350 م أثني عشر ألف جمل[6].

ومن هنا ندرك القيمة الإقتصادية خاصة التجارية ، التي كانت تشغلها تمبكتو في تجارة القوافل .

---

(1)- السعدي ، المصدر السابق ،ص 20.

(2)- هادي مبروك الدالي، المرجع السابق ، ص307.

(3)- M, GR, AIIACKUARD, monographic Tombouctou société des études , Coloniales et maritimes, paris ,1990 ,p9.

(4)- هادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ،ص 307.

(5)- حسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 165.

(6)- هادي مبروك الدالي، المرجع السابق ،ص 307.

ب-جني : تقع مدينة جني إلى الجنوب الغربي ، من مدينة تنبكت ، وتبعد عنها بحوالي ستمائة كيلو متر تقريبا [1]. ويورد السعدي أنها تأسست في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلاد[2] ودخل أهلها الإسلام خلال نهاية القرن السادس للهجرة /الثاني عشر الميلادي[3]، وقد حظيت بأهمية إقتصادية كبيرة ، نظرا لموقعها المتميز، كملتقى للقوافل التجارية التي تسير بين شمال الصحراء وجنوبها،حيث اشتهرت بتجارة الملح والذهب،وقد وصفها عبد الرحمن السعدي قائلا:"وهي سوق عظيم من أسواق المسلمين، وفيها يلتقي أرباب الملح و أرباب الذهب" [4].

ومن خلال النص السابق تتضح قيمتها كمركز تجاري ، ربطت بين زنوج الجنوب وتجار الشمال بأهم معدنين في المنطقة : الذهب والملح .

وقد زادت إزدهارا وقيمة تجارية بعد أن دخلها الملك سني علي (869-899هـ/1464-1493م)، حيث عمل على تطويرها، ودعم الأمن بها ، بعد أن تزوج أم أميرها[5] وكانت تستعمل فيها حتى القوارب ، في نقل الملح والذهب ، وباقي السلع الأخرى من تنكبت وجاو، إلى باقي المدن الأخرى[6].

ج- جاو : تعد من أشهر مدن السودان ، فهي تقع على ضفة نهر النيجر من جهة الشرق[7]، و ازدادت شهرة عندما أصبحت عاصمة مملكة سنغاي ، فهي كانت تمثل بالنسبة الشعب السنغاي ، ماكانت تمثله تنبكتو لغيرها من دول السودان الغربي ، من نواحي الثقافة والتجارة والإدارة الحكومية [8].

---

(1)- هادي مبروك الدالي، المرجع السابق ،ص 306.

(2)- السعدي ، المصدر السابق ، ص12.

(3)- نور الدين شعباني ،المرجع السابق ، ص119.

(4)- السعدي ، المصدر السابق ،ص 12.

(5)- نفسه ،ص .12.

(6)- نور الدين شعباني ،المرجع السابق ،ص 120.

(7)- الإدريسي ،المصدر السابق ، ص44 . ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص93.

(8)- نور الدين شعباني ،المرجع السابق ، ص119.

وقد إكتسبت تلك الأهمية بوجودها في أحد الطرق التي تربط مصر بغانة ، وهو ما جعلها تشارك في ذلك النشاط التجاري، الذي جلب لها الرفاهية، لكن ذلك الطريق أهمل خلال القرن الرابع للهجرة ،العاشر الميلادي ، جعل جاو توجه تجارتها الى الشمال من خلال توات نحو المغرب، ومن خلال الهقار بإتجاه مصر[1] . وعرف أهل جاو المسلمون بحسن ضيافتهم للتجار ، ومجالستهم لهم ، وممارستهم للتجارة مع القوافل العابرة ، حيث كانت ترد إليهم الأقمشة من المغرب وأوربا ، ويأتيهم الملح من تغازى، والودع من الهند والنحاس من تكدا[2].

ثالثا: أهم المحطات التجارية:

لعبت المحطات التجارية ، التي إمتدت على طول وأطراف المراكز التجارية ، أدوار مختلفة ، في العلاقات التجارية التي جمعت بين الدولة الزيانية وبلاد السودان ، كأسواق استقطبت تجار شمال الصحراء وجنوبها ، وأبرمت فيها صفقات تجارية مهمة وكمحطات سمحت للقوافل بالتوقف من أجل الاستراحة ، و كانت بمثابة حلقات وصل بين المنطقتين، ومن أبرز هذه المحطات :

1- سجلماسة :

مدينة تجارية ، تبعد على تلمسان بحوالي عشر مراحل،أسسها عيسى بن يزيد الأسود عام 140 هـ/ 857 م ، وهو من الخوارج الصفرية[3] وتقع سجلماسة جنوب المغرب ، في طريق بلاد السودان في مقطع جبل درن* وسط الرمال يمر بها نهر كبير[4] ، وهو نهرزير، الذي يتفرع الى فرعين ، ويتاخمها من الشرق[5] وساعد موقع سجلماسة

(1)- الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق ،ص 309.

(2)- حسن الوزان، المصدر السابق ،ص 169.

(3)- البكري ، المصدر السابق ،ص 143 . إبن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص152.

*جبل درن:جبل يقع جنوب المغرب ، يذكره ابن سعيد على أنه يدخل في البحر المحيط ، وطوله ستة أيام وعرضه ثلاثة أيام . المصدر السابق ، ص145.

(4)- القزويني ، المصدر السابق ،ص 42 . أنظر كذلك :ياقوت الحموي ،معجم البلدان،ج3،بيروت،دارصادر، 1955،ص45.

(5)- ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص124.

وخصوبة أرضها ، على تحمل الحركة التجارية ، وتوفر متطلبات القوافل الداخلة والخارجة منها ، وجعلتها هذه الإمتيازات أهم المحطات التجارية ، وتوثقت علاقاتها بالدول المجاورة لها[1] ، فكانت القوافل تنقل البضائع المغربية الى السودان ، وتأتي ببضائع السودان ، بما فيها الذهب ، والتوابل وغيرها ، وبذلك انعكس كل ذلك على سكان سجلماسة ، وإزداد ثراؤهم بسبب هذه التجارة ، فكانوا حلقة وصل بين هذه المناطق وغيرها[2] . وقد بقيت سجلماسة ، تلعب دورا هاما في التبادل التجاري بين مدن الشمال والجنوب ، وكان التلمسانيون يتاجرون مع بلاد السودان عن طريق وكالات ، أقيمت في سجلماسة وعلى أ رسها شركة الأخوة المقري[3].

وقد أخذت سجلماسة تضمحل شيئا فشيئا ، عندما إنتشر الأعراب في الطريق الرابط بينها وبين تلمسان ، منذ القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر ميلادي ،لأن التجار اضطروا الى تحويل الطريق الى توات[4].

2- تـوات :

تقع توات الى الجنوب الغربي ، من الصحراء الجزائرية ،والتي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية [5].

وتعتبر توات محطة من المحطات التجارية الهامة ، فموقعها كواحة وسط الصحراء جعلها المنعش الحقيقي لتجار القوافل بعد طول السفر، وكانت تزود التجار بالغذاء والماء العذب ، وتوفر الكلأ لجمالهم ، كما يتم بها تغيير الجمال و الأدلاء[6] وغالبا ما يقوم تجار السودان وتجار المغرب بعرض بضاعتهم فيها.

---

(1) -Gy Nicolas , lev racinement ethnique de l'islam au sud du sahara , Etude comparée (in : Cahiers africaines M vol- 18 , cahier 71) Etess ,1978 ,p351.

(2)- حسن الوزان، المصدر السابق ،ص 127.

(3)- خالد بلعربي، المرجع السابق ، ص45.

(4)- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7،ص105.

(5)- فرج محمد فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب 1977 ، ص 73.

(6)- نفسه ،ص 76.

وتحتوي واحات توات على عدة ممالك وإمارات صحراوية صغيرة ، يسيطر عليها التجار والأثرياء وذو الجاه والنفوذ الديني والاقتصادي[1]، وقد كان اليهود المحرك الأساسي لتجارة توات ، فتواجد الجالية اليهودية الغنية والكبيرة العدد بها ، في الوقت نفسه دّر عليها أموالا وفيرة في تجارتها مع السودان الغربي ، باعتبارها محطة جارية، تعبرها القوافل الرابطة بين شمال إفريقيا وبين السودان الغربي[2].

وبهذا أصبحت توات، ملتقى طرق مهم، لعدد كبير من القوافل التجارية.

ج- أود غشت:

هي واحة تقع على بعد مسيرة شهرين جنوب سجلماسة ، وعلى بعد خمسة عشرة يوما شمال غانة[3] هذا الموقع جعل من أود غشت مركزا ومحطة تجارية مهما لتجارة الذهب المستورد من السودان ، والذي تعيد تصديره إلى بلاد المغرب ، خاصة نحو سجلماسة[4]،أين كانت تعد ملتقى حقيقيا بين تجار المغرب وتجار السودان ، وهو ما جعلها سوقا تجارية كبيرا، فابن حوقل لما مر بأودغشت عام 391 هـ/ 990 م ، شاهد صفقة ب 40 ألف دينار[5].وهو دليل يثبت ضخامة التبادل التجاري فيها. بفضل توفر الأمن و الاستقرار في الطرق والمسالك ،برزت هذه المرا كز والمحطات، مما ساهم في ازدهار تجارة القوافل، عن طريق السلع المتبادلة والمعاملات التجارية.

(1)- يحي بوعزيز ،المرجع السابق ، ص41.

(2)- عبد القادر زبادية، محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة الأصلة،ع 26 ،الجزائر ، مطبعة البعث، 1975 ص 211.

(3)- البكري ، المصدر السابق ،ص 168 .الحموي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص400 .

(4)- نور الدين شعباني :المرجع السابق ،ص 115.

(5)- ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص91.

الفصل الرابع

المعاملات التجارية

أولا:السلع التجارية المتبادلة

1- واردات السودان الغربي

2- واردات الدولة الزيانية

ثانيا:نظم التعامل التجاري

1- المقايضة

2- العملة

3- الصكوك

4- التجارة الصامتة

ثالثا:عوامل ازدهار التجارة بين الدولة الزيانية والسودان الغربي

1- دور الحكام و الأمراء الزيانيين

2- دور التجار الزيانيين.

أولا : السلع التجارية المتبادلة

كان من الطبيعي تأثير البيئة الجغرافية في طبيعة السلع المتبادلة بين الدولة الزيانية والسودان الغربي ، فالسلع التي تسوق في السودان الغربي ، تختلف عن السلع التي تجلبها القوافل من مناطق الشمال إلى هذه المنطقة ، ومن هنا قسمنا السلع المتبادلة بين الدولة الزيانية والسودان الغربي إلى قسمين هما :

1 . واردات السودان الغربي:

وهي السلع التي تحملها القوافل وتجار الدولة الزيانية نحو السودان الغربي سواء كانت هذه السلع من بلاد المغرب ، أم كانت مستوردة من الخارج ، ومن أهم هذه الصادرات :

أ ـ **الملح:** كان الملح يمثل سلعة مهمة في تجارة الصحراء منذ فترة طويلة ، قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا [1]، ويعد الملح بالنسبة للسودان من أهم السلع ، ولا تقل أهميته عن الذهب بالنسبة للمغاربة ، بل يرى بعض المؤرخين أن الملح كان أهم من الذهب بالنسبة للأفارقة ، وربما ترجع أهميته بالنسبة لهم لقيمته الغذائية[2]، ونظرا لأن هذه المادة معدومة في السودان فإنهم كانوا يستبدلونه بوزنه ذهبا ، بل صار الملح في بعض الأحيان عملة شرائية ، حيث كانوا يقطعونه قطعا و يتبايعون به [3]، بسبب ندرته وتعذر الحصول عليه بالنسبة إليهم، فسارع تجار الدولة الزيانية للحصول عليه وبيعه، لجمع أكبر كمية من الذهب [4].

لقد كانت الصحراء المصدر الرئيسي للملح ، أشهر المناطق التي ساهمت في إنتاجه تغازى (وهي على ميسرة 25 يوما من سجلماسة) [5].

---

(1) - الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ،ص 324.

(2) - نفسه ،ص 328.

(3)- عبد القادر زبادية ، **الحضارة العربية** ، المرجع السابق ص36.

(4) - مختار حساني ، المرجع السابق ص157.

(5) - إبن بطوطة، المصدر السابق ،ص 230.

وقد ساهمت تجارة الملح في تحويل مناجم الملح الصحراوية إلى مراكز التقاء بين تجار الدولة الزيانية وقبائل صنهاجة العاملة في استخراج الملح وكان الحمل الواحد من الملح ، يباع بولاته بعشرة مثاقيل*، إلى ثمانية مثاقيل من الذهب، ويصل سعره في مالي إلى ثلاثين مثقالا ، وقد يصل إلى أربعين مثقالا [1].وكانت مدينة جاو عاصمة مملكة السنغاي ، من أهم المراكز للاتجار بالملح ، ومع أن هذه المدينة كانت محطة لأهم أنواع السلع التي تنقل إليها من الشمال الإفريقي والبحر المتوسط ، إلا أن أغلى أنواع السلع فيها هو الملح [2]، وكانت قوافل تلمسان من أهم القوافل بالشمال الإفريقي ، التي لعبت دورا في إزدهار تجارة الملح .

ب ـ المنسوجات والملابس وأدوات الزينة: اشتهر أهل تلمسان بنسج الصوف ، فهم يتنافسون في ذلك منذ القرن السابع الهجري ، الثالث عشر ميلادي، ومن عندهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا وجنوبا ، وكان أهم ما يصنع عندهم البرانس والأقمشة والزرابي والحياك أي الحنابل ، التي كانت تصدر إلى المغرب الأقصى ، والبرتغال وإيطاليا وأكبر كمية كانت تذهب إلى السودان الغربي[3] وكان أعيان القوم والملوك من السودانيين يلبسون الأقمشة القطنية المجلوبة إليهم من المغرب [4]، وكان القطن يستعمل في صناعة الحرير التي ازدهرت في تلك الفترة وكان غالي الثمن وخاصة إذا كان مصبوغا [5]، وفي بداية القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري كانت قطعة القماش أبيض أو ملون طولها ذراع وستة أشبار ، تساوي في مملكة السنغاي مثقالا من الذهب ، وكذلك في قطعة من الحرير طولها ثمانية أشبار [6]، وتجدر الإشارة إلى أن تجارة القماش كانت رائجة في كل أسواق السودان ، نظرا لتقدم صناعة النسيج في بلاد المغرب وخاصة الدولة الزيانية ، بالإضافة إلى الأقمشة المستوردة من البندقية و جنوة، والتي كانت توجه بسهولة

(1) - إبن بطوطة ، المصدر السابق ، 231.

*المثقال: وكان يساوي وزن 72 من حبات القمح المتوسطة الحجم ، زبادية عبد القادر ، المرجع السابق، ص 54.

(2) - الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص 328.

(3) - نفسه، ص 330.

(4) - نور الدين شعباني، المرجع السابق ،ص 123.

(5) - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ،ص 35.

(6) - خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص46.

إلى بلاد السودان الغربي [1]، حتى أصبح ملوك غانة وتكرورو الكانم، يلبسون الحرير والقطن وأنواع الأقمشة ، بعدما كانوا من قبل يلبسون الجلود المدبوغة [2].

أما أدوات الزينة فكانت تشمل الحلي ، التي كانت تصنع من النحاس ، أو من الفضة المشوبة بالذهب ، وبعضها الآخر كان يصنع من الذهب الخالص ، الذي يجلب معظمه من بلاد السودان[3] وتزين هذه الحلي بالخرز الملون ، وتعمل على شكل قلائد أقراط ، عقود وغيرها[4].

وقد جني التجار أموال طائلة من وراء هذه التجارة ، نظرا لما وجدوه من إقبال كبير عليها[5].

ج - **الخيول و الأسلحة** : لقد اعتنى التلمسانيون بتربية الخيل وترويضها ، وكان الأوربيون يقبلون على شرائها ، كما كانت من أهم الصادرات إلى بلاد السودان الغربي ولم يكن في إستطاعة عامة الناس كسبها ، لأنها تحتاج إلى رعاية خاصة وإمكانيات مادية كبيرة فتربيتها تتطلب إسطبلات وغذاء ملائم ، ومن ثم فإنه لا يملكها إلا النبلاء والملوك[6] وكان انتقال الخيل من الشمال إلى الجنوب ، أمرا صعبا ، لما تتعرض له من تقلبات مناخية ، خاصة وأنها لا تتحمل مثل الجمال الفوارق الحرارية الفجائية بين منطقة وأخرى لا تتحمل العطش وصعوبة الطريق ولهذا فإن التجار يفقدون أثناء رحلتهم أعداد كبيرة منها فيعملون على تعويض خسائرهم ، برفع أسعارها ، فكانت تباع بأثمان مرتفعة وكان تجار الدولة الزيانية والمغرب يحصلون على أرباح معتبرة [7]، فقد لاحظ ابن بطوطة أثناء رحلته "أن الخيل غالية الأثمان"[8]، وأضاف أن الرأس الواحدة يساوي مائة

(1) - نور الدين شعباني،المرجع السابق، ص123.

(2)- الإدريسي ، المصدر السابق، ص39، إبن سعيد ، المصدر السابق ،ص114.

(3) - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ،ص 38.

(4) - الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص331.

(5) - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ،ص 38.

(6) - خالد بلعربي، المرجع السابق، ص47.

(7)- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ،ص 37.

(8)- إبن بطوطة ، المصدر السابق ، ص245.

مثقال[1]، وكان الحصان الواحد يساوي خمسة عشر عبدا[2]، وربما وصل العدد إلى عشرين عبدا[3]، ولقد حرص ملوك السودان الغربي للحصول عليها من بلاد المغرب وذلك لحاجتهم لها في جيوشهم لأن خيول بلاد السودان يؤخذ عليها صغر حجمها وبطئ حركتها، وكانوا يفضلون مبادلتها بالرقيق بدلا من الذهب[4].

وكان التلمسانيون يتقنون صنع سروج الخيل ويصدرونها إلى بلاد السودان[5]، لقد كان ملوك السودان يتنافسون في تنظيم جيوشهم وتسليحها[6]، وقد اعتمدوا في ذلك على الأسلحة المجلوبة من الشمال[7]، وكان تجار الدولة الزيانية يبيعون أدوات حربية كالسيوف والرماح والنبال والخناجر سواء كانت مصنوعة في بلادهم أو مستوردة من الأندلس و إيطاليا والمشرق الإسلامي[8]، إذا كان ثمن السيف من النوعية الرديئة يباع في مدينة جاو بأربعة أوقيات من الذهب[9].

إذا كان تجار الخيل يحصلون على أرباح وفيرة من جراء هذه التجارة .

هـ - التمور والقمح : كانت التمور من الأحمال الكبيرة التي تصدر إلى السودان وأخذها التجار من الواحات الصحراوية العديدة[10]، كسجلماسة وبلاد الزاب و ورجلان[11]، وأيضا من صادرات التين المجفف ، الذي كانت أشجاره تنمو بكثرة حول نهر الشلف وفي

(1)- إبن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 245.

(2)- حسن الوزان، المصدر السابق، ص166.

(3) - خالد بلعربي، المرجع السابق،ص 47.

(4) - إبن بطوطة، المصدر السابق،ص 248.

(5) - خالد بلعربي، المرجع السابق،ص 48.

(6) - نفسه، ص.48.

(7)- نور الدين شعباني ، المرجع السابق، ص124.

(8) - خالد بلعربي ، المرجع السابق،ص48.

(9) - نور الدين شعباني ، المرجع السابق،ص 124.

(10) - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق،ص 35.

(11) - حسن الوزان، المصدر السابق،ص 163.

المرتفعات الشمالية، وكان يصدر للكثير من الأقطار ، وكان يكثر إستهلاكه في بلاد السودان خاصة في غانة[1].

وكان تجار الدولة الزيانية يصدرون القمح ، الذي لم يزرعه السودانيون[2]، والذي كانت تتركز زراعته حول تلمسان ، وكانت أسعاره غالية جدا بسبب صعوبة نقله[3]، وقد بلغ سعر القنطار منه ، في أود غشت ستة مثاقيل ذهبا ، في القرن السادس هجري ثاني عشرة ميلادي و كان سعره في بلاد السودان يزيد عموما بمقدار الثلثين عما عليه ببلاد المغرب في تلك الفترة[4]، أي كان يشكل غذاء الطبقات الموسرة فقط.

و- **العطور** : تكون العطور نسبة هامة من المواد التي تصدر الى بلاد السودان الغربي و يحمل التجار إليهم العديد من أنواعها ، فيجنون من ورائها أرباحا كبيرة و يقبل السكان عليها إقبالا كبير[5] ، و كانت تستهلك بكثرة في جميع الجهات خاصة بين الطبقات الموسرة و الرسمية[6] ، و كانت تسهلك بكثرة في جميع الجهات خاصة بين الطبقات الموسرة والرسمية، وكانت اغلب أنواع العطور ، يأتي بها التجار الأوربيون ،وخاصة الايطاليين ،الى بلاد المغرب والى تلمسان ، التي كانت تصنع بدورها أنواع جديدة تستخرج من نبات الخزامي الذي يكثر بها[7]. و الجدير بالملاحظة أن التجارة المغاربية كانوا الوسطاء الرئيسين لهذه التجارة.

ن- **النحاس** : كان النحاس قليل ببلاد السودان الغربي ، يستخرج من المنجم وجد بقع قرب تكدا[8]، و قد ساهم التجار المغاربة في توفير تلك المادة ، و كان جزء منها يصدر

(1) - خالد بلعربي ، المرجع السابق،ص 47.

(2)- نور الدين شعباني ، المرجع السابق، ص124.

(3) - أحمد المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، ج7،تحقيق وتعليق : إحسان عباس، بيروت، 1968، ص314.

(4) - نفسه،ص315.

(5) - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص34.

(6) - هادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص331.

(7) - خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص48.

(8)- ابن بطوطة ، المصدر السابق، ص252.

من جنوب المغرب الأوسط ، لتزويد بعض الحرفيين الذين يشتغلون بتصنيع النحاسي في سنغاي رغم أن عددهم كان قليلا ، بما يحتاجون من مادة أولية و مما كان يصدر من أوانية قسم كان يستعمل للزينة كالأساور و الأقراط ، و أخر في شكل أواني منزلية جيدة الصنع وقسم ثالث في شكل لوازم للخيل ، كاللجان و حلقة القدم من السرج[1].

ي- **الكتب** : كانت الكتب من الصادرات الهامة إلى بلاد السودان ، و كانت المناطق التي يجلبها منها هي بلدان المغرب ، و المشرق الإسلامي[2]، حيث كانت أثمانها مرتفعة و خاصة في عهد دولة السنغاي ، تزيد عن أثمانها في المغرب بضعف و نصف الضعف تقريبا[3] و نتيجة لإقبال حكام و علماء السودان الغربي على اقتناء الكتب تمكن التجار من الحصول على أموال ضخمة في بيع هذه السلعة ، التي كان لها رواج ملحوظ في المنطقة ، نظرا لانتشار العلم و العلماء و وجود منارات للعلم[4].

وكانت هناك أيضا بعض الصادرات الزيانية ، من مصنوعات حديدية ، و أخرى من زجاج و الودع ، و الجلود المدبوغة و الأصبغة ، و غيرها من المواد التي كانت تنتج في الدولة الزيانية أو التي تستورد من الخارج ، ليتم نقلها عن طريق التجار الى للسودان الغربي[5].

إذا فقد كانت صادرات الدولة الزيانية تلقى رواجا في السودان الغربي ، و أصبحت متصلة صلة وثيقة به ، و صدرت إليه كل منتجات البحر المتوسط ، خاصة فيما يخص جودة الإنتاج و كثرته في آن واحد ، و لكن لم تكن بلاد السودان مستهلكة فقط ، و إنما كانت مصدرة أيضا و كان من أهم صادراتها :

---

(1) - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق،ص 32.

(2) - نفسه ، ص 36.

(3) - نفسه ، ص 37.

(4)- الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ، ص330.

(5) - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ،ص 36.

2- واردات الدولة الزيانية:

لعبت السلع التي كان يصدرها السودان دورا رئيسيا في تجارة الصحراء الكبرى ، و كان من أبرزها :

أ- **الذهب** : كان السلعة الأولى التي جذب إليها التجار ، منذ عهد الفينيقيين حيث تاجروا في الذهب مع السودان الغربي ، و منذ ذلك التاريخ أصبح الذهب محور تجارة السودان عبر الصحراء ، مع المغرب [1] .

تميزت بعض المناطق في السودان الغربي بتواجد كميات كبيرو من الذهب ، مثل جزيرة ونقارة التي تبعد عن مالي بثمانية أيام ، وغايروا ، و بلاد الفرويين ، و كوغة ، الى الجنوب الغربي من غانة[2] ، و كانت كميات الذهب في تلك المناطق كثيرة[3].

و قد كتب العديد من الرحالة المؤرخين العرب عديد الروايات عن هذا الذهب ، فقد ذكر ابن حوقل ، " أن الذهب ينبت ببلاد غانة في الرمل ، كما ينبت الجزر ، و يقطف حين بزوغ الشمس "[4].

فقد كان السودان الغربي أكبر مصدر للذهب في القرة الإفريقية خلال العصور الوسطى هذا الذهب الذي كان له الفضل في قيام عدة إمبراطوريات سودانية ، شكل إحدى أهم مصادر الرفاهية لدول المغرب الإسلامي ، و حتى الشرق الأدنى ، بل إن الحضارة التي تكونت في السودان الغربي ، ربما لم تكن ممكنة إلا بوجود هذه الثروة الثمينة[5].

إن بداية جلب الذهب من السودان، كان في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة / الثامن ميلادي، حيث بدأت القوافل التجارية في النشاط في هذا المعدن المهم

(1) - الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ،ص 319.

(2)- البكري ، المصدر السابق ،ص 176.

(3) - ابن حوقل ، المصدر السابق،ص 87.

(4)- نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص 75.

(5) - شوقي عبد القوي عثمان، المرجع السابق، ص 103.

و كانت بلاد السودان الغربي ، أهم منطقة ممولة بالذهب لكل مناطق البحر الأبيض المتوسط .

و قد كان الملوك يحتكرون الذهب ، فهو ملك للسلطان ، تجمعه الرعية ، و لا يسمح لهم بأخذ شيء منه إلا بإشرافه ، و قد أدى ذلك الى ظهور الملوك بمظهر الثراء العريض ، حيث أن ملك غانا كان يطلق عليه كيمع ، و معناها ملك الذهب [1]. و هو نوعان : التبر، وهو ما كان بتداوله العامة والسبائك، و كانت على شكل خيوط دقيقة[2].

و كان الذهب يشكل المادة الأساسية ، للحركة التجارية الواسعة بين الدولة الزيانية و السودان الغربي ، و قد كان التجار يعودون من السودان محملين بالذهب أكياسا و هذا ما كان يدفعهم الى تحمل مشاق و قطع المراحل الطويلة في الصحراء[3]. و ذر على السودان الغربي أموال طائلة و عمل على رفع اقتصاد ، و كذلك ربطه مع الشمال برباط اقتصادي متين[4] .

ب- العبيد : تأتي تجارته في الدرجة الثانية من حيث الأهمية بعد الذهب ، الذي كان يصدر الى بلاد الغرب ، و منها إلى البلاد العربية و إلى أوربا ، حيث وجد عدد كبير منهم في مدينة تلمسان خلال العصرين المرابطي و الموحدي ، الى درجة أنهم كادوا يشكلون عنصر من عناصر المدينة و كانوا يستخدمون في الجيوش ، ثم أصبحوا يكونون فرق الجيش[5] .

وكانت أسواق السودان عامرة بالعديد من العبيد في مختلف الأعمار، و كانت أثمانهم منخفضة في السودان عنها في العالم الخارجي ، و لذا كان التجار يعودون بأعداد كبيرة منهم[6] و كان العبيد يجلبون من القبائل الوثنية البدائية ، خاصة في عهد

(1) - الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص 321.

(2) - خالد بلعربي، المرجع السابق ، ص48.

(3) - عبد القادر زبادية : المرجع السابق ،ص 38.

(4) - الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص 322.

(5) - نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص78.

(6) - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ،ص 39.

إمبراطورية مالي ، و من أشهر القبائل التي كانت تمثل مصدر لجلب العبيد ، نجد قبيلة لملم التي يسكنها الكفار[1]. و يذكرها إبن خلدون بقوله : " و في جنوب هذا النيل قوم من السودان يقال لهم لملم ، و هم كفار يكتوون في وجوههم و أصداغهم ، و أهل غانة و التكرور يغيرون عليهم ، و يسبونهم و يبيعونهم للتجار فيجلبونهم إلى المغرب ،و كلهم عامة رقيقهم ، وليس ورائهم في الجنوب عمران"[2]. كما نجد هذه الإشارات عن إغارة أهل غانة و التكرور على بلاد لملم و استعباد سكانها ، و بيعهم لتجار الشمال عند معظم المصادر العربية[3].

و لعل لا بعض المؤلفين أرادوا أن يجعلوا لحركة " المتاجرة بالعبيد في اتجاه الشمال خاصة البلدان العربية قيما مبالغا فيها ، لكن تلك الحركة بالنسبة للحقبة التي تهمنا ، لم تكن تمثل نزيفا بشريا ، لأن حاجة العرب البرابرة الى اليد العاملة ، لم تكن ماسة حتى يكون الطلب بمثل تلك الضخامة ، حسب ريمون موني أن عدد العبيد السودان الذين يصدرون نحو الشمال قدرهم بحوالي 20000 سنويا[4].

أصبح العبيد السود يمثلون ثروة حقيقة للسودان ، عمل الملوك على الاستفادة منها تحت مختلف الذرائع و الحجج.

ج- ريش النعام : كان لريش النعام رواج كبير في الأسواق ، و عليه إقبال كبير كذلك حيث أنه كانت تحشى به الأرائك و المخاد في البيوت و القاعات ، كما كانت تتخذ منه الطبقات الموسرة مراح للتهوئة أو الزينة ، و كان أيضا يستعمل كأغطية للرأس[5] ، فقد كان التجار يجلبون منه مقادير هامة أثناء رجوعهم من السودان ، و كان التجار

---

(1)- نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص79 .

(2) - ابن خلدون ، **المقدمة** ، تحقيق خليل شحادة و سهيل زكار ، لبنان دار الفكر ، 2001 ، ص43.

(3) - البكري ، المصدر السابق ، ص178. الإدريسي ، المصدر السابق ،ص 3 . ابن سعيد ، المصدر السابق، ص91.

(4) - ج.ت.نياني ، **تاريخ أفريقيا العام ج4**، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1988 ، ص619.

(5)- حسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 146.

و الوكلاء الوسطاء ، يعملون على جمع ما تيسر لهم منه ، و لكي يبادلوه بالبضائع التي تحملها القوافل من الخارج و قد شهدت هذه السلعة رواجا كبيرا في أسواق أوربا[1].

د- **بيض النعام** : كان بيض النعام يتخذ من محه العناصر الهامة في تركيب الأدوية كما كان يوضع فوق المنضد أو يعلق على حيطان القاعات للزينة ، و لذا كان التجار يجلبون منه ما تسير لهم ، و كانت أثمانه في الأسواق الخارجية مرتفعة[2].

هـ- **الدرق اللمطية** : التي لاشيء أبدع و لا أصلب منها ظهرا ، و لا أحسن منها صنعا و بها يقاتل أهل المغرب ، لحصانتها و خفة محملها ، و هي مستمدة من اللمطي المتوفر في بلاد لمطة*، و يبدو و أن التجار كانوا يجدون في جلبها لأهميتها في الحروب ، فعمروا الأسواق المحلية بها ، ثم صدورها إلى البلاد الأخرى ، فقد كانت تشكل إحدى الصادرات إلى بلاد المشرق الإسلامي ، و كانت تصدر إلى الأندلس ، بل أنها كانت تقدم كهدايا كدليل على أهميتها[3].

و- **العاج** : لقد دخلت تجارة العاج عبر قوافل السودان الغربي ، منذ عصر الفينيقيون و كان العاج متوفر بكميات كبيرة ، جعلت المواكبين يصنعون أواني الشرب و يزينون به الخيل ، و كان من الكماليات المرغوب فيها بالشمال الإفريقي ، و يتم تصديره للدولة الزيانية ، و منها إلى أوروبا ، فهي من البضائع التي يرغب في شرائها ، و بذلك يعتبر أهم صادرات السودان الغربي زمن دولة السنغاي[4]

ن- **التوابل**: كانت هذه المواد تأتي الى بلاد السودان ، مناطق الغابات من مناطق الجنوب ، و كان التجار المحليون يذهبون الى هناك لجلبها ، و كانت أصناف التوابل العديدة لا تزال تشكل في تلك الفترة مادة رفوف الصيدليات في كل أنحاء العالم، و تتكون

(1) - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ،ص 39.

(2) - نفسه ، ص 40.

(3) - عبد الكريم جودت ، المرجع السابق ، ص 229.

* لمطة : نسبة الى اللمط : و هو حيوان يشبه الغزال لكنه أغلظ منه ، و يصبر على العطش ، جلده هو الذي كان يصدر. ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص299.

(4) - محمود كعت ، المصدر السابق ،ص 149.

منها جميع العقاقير التي تحتويها وصفات الأطباء و مؤلفاتهم ، و كانت أثمانها مرتفعة جدا . و قد كان التجار الذين يقصدون السودان ، يحملون منها ما استطاعوا و يربحون من ورائها أرباحا وفيرة[1].

ي- **سلع أخرى:** و قد كان التجار يجلبون الجلود[2] ، التي تعتبر التي تعتبر من السلع ذات التاريخ التجاري القديم في السودان الغربي ، خاصة جلود النمور و هي هامة في صناعة السروج و قرب المياه و الأحذية و أكياس حفظ الحبوب و نحوها[3]، كما كان الشب من السلع التي صدرها السودان الغربي و قد اشتهرت به كوار، كما وجد بأرض السودان الفول السوداني ، الذي كان يقايض به الملح القادم من الشمال ، و قد أشتهر هذا النبات في كل أرض السودان ، إلى درجة أنه أصبح يسمى باسمه نظرا لتخصصه في إنتاجه[4].

و من ثروات السودان التي كانت تصدرها إلى منطقة الصحراء و بلاد المغرب ، نجد نبات الكولا ، الذي يعتبر من المنتجات الرئيسية للسودان الغربي ، ومن أهم السلع التي كانت تنتقل من غانة إلى بلاد المغرب[5].

إن ثروات بلاد السودان شكلت بالفعل سلعا مهمة للتجار المغاربة ، و التي اعتبرت عاملا مغريا وطد العلاقات التجارية بين السودان الغربي و الدولة الزيانية و جعلتها تستمر.

ثانيا : نظم التعامل التجاري

كان التعامل التجاري بين التجار يتم بطرق مختلفة ، و نذكر أبرزها:

(1) - عبد القادر زيادية ، المرجع السابق ،ص 40.

(2) - عبد الكريم جودت ، المرجع السابق ،ص 230.

(3) - الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ،ص 322.

(4) - نور الدين شعباني ، المرجع السابق ،ص 78.

(5) - الهادي مبروك الدالي ، المرجع السابق ،ص 323.

1- المقايضة :

يقول ابن خلدون : " إن نقل السلع من بلد البعيد المسافة ، أو شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار ، و أعظم أرباحا و أكفل بحوالة الأسواق ، لأن السلع المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة "[1]. نستنتج من كلام إبن خلدون أن ندرة السلعة و المخاطر التي تشوب تجارها ، هي التي تحدد سعرها و قيمتها و هو نفس المقياس الذي يحدد قيمة العملة بين العملات في وقتنا الحاضر. لهذا كانت التجارة بين الدولة الزيانية و السودان الغربي خلال العصور الوسطى ، تتخذ من السلع الثمينة عملية الابتياع و التعامل ، قبل أن تصل العملة المعدنية إلى ما وراء الصحراء ، و هو ما يشكل نوعا من المقايضة.

ولعل أهم سلعة اتخذت للمقايضة كعملة ، هو الذهب[2]. حيث استعمل الذهب خالص غير مسبوك كعملة رائجة عند السودانيين[3].

و قد استعمل معدن النحاس كعلكة للتبادل التجاري أيضا ، و خاصة النحاس الأحمر ، حيث كان النحاس يجلب على شكل قضبان من النحاس مختلفة الأحجام و السمك و الثمن أيضا ، حيث يقدر طولها بشبر و نصف ، بعضها رقائق و بعضها غلاض ، فإبتياع الغلاض منه بحساب أربعمائة قضيب مقابل مثقال من الذهب و تباع الرقائق بحساب ستمائة و سبعمائة قضيب ، مقابل مثقال ذهب[4].

و يصرف النوع الأول في شراء العبيد و الذرة و السمن و القمح، و النوع الثاني في شراء اللحم و الحطب[5].

إن التعامل بالنحاس الأحمر انتشر كثيرا في عهد إمبراطورية مالي، و ما جعله يصبح المعدن الأكثر عرضة للمكوس الضريبية[6].

---

(1) - ابن خلدون ، المقدمة ،ص 344.

(2) - نور الدين شعباني ، المرجع السابق ، ص125.

(3) - حسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 163.

(4) - ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص250.

(5) - نفسه ، ص250.

(6) - نور الدين شعباني ، المرجع السابق، ص126.

و استعمل الملح كعملة من طرف التجارة المغربية ، نظرا لندرته في بلاد السودان كانوا يحملون حجارة الملح على ظهر جمالهم ، فينطلقون من سجلماسة قاطعين طريق الرمال نحو السودان الغربي ، أين يبيعونه وزنا بوزن مع الذهب[1].

و يذكر بن بطوطة بأن السودان يتصارفون بالملح ، مثلما يتصرفون بالذهب و الفضة ، حيث يقطعون قطعا و يتبايعون به[2].

و لقد استعمل الودع في المبادلات اليومية ، و قد كانت أربعمائة و دعة تعادل مثقالا من الذهب[3] ، و كان الحسن الوزن قد شاهد عمليات بيع و شراء كثيرة ، بدفع الودع كعملة ،و يضيف بأن التجار هم من يجلبونها من الشمال[4].

و قد استعمل تجار الصحراء سلعا أخرى كعملة للمقايضة ، فالكانميون استعملوا قطعا من القماش تنسج عندهم ، يبلغ طول كل قطعة منها عشرة أذرع ، و تعاملون أيضا بالخرز و النحاس المكسور و الورق[5]، و يذكر ابن بطوطة ، عند وصفه للطريق الرابط بين توات و تكدا ، بأنه لا وجود للطعام فيه ، لذلك يتم استبدال اللحم و اللبن و السمن بالثياب[6]. و يذكر حسن الوزان ، أن العملة الرائجة لدى السودانيين هي الذهب غير المسبوك ، و كذلك قطع الحديد لشراء بعض الأشياء ، كالبن و الخبز و العسل ، تزن هذه القطع رطلا أو نصف رطل أو ربعه[7].

نلاحظ أنه كان يتم استبدال و مبادلة جميع السلع في السودان الغربي ، حتى لو لم يكن الشخص يحمل معه نقودا في رحلته.

---

(1) - ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص230.

(2) - نفسه ، 231.

(3) - خالد بلعربي، المرجع السابق ، ص33.

(4) - حسن الوزان ، المصدر السابق ،ص 167.

(5) - شعباني نور الدين ، المرجع السابق ، ص127.

(6) - ابن بطوطة ، المصدر السابق ،ص 235.

(7) - حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص162.

2- العملة:

كانت التجارة في الصحراء ، تتم بالتبادل في معظم الأحيان نظرا لقلة العملات التي يبدو أنها لم تكن منتشرة في بلاد السودان[1] ، إلا أن المسعودي أشار خلال منتصف القرن الرابع للهجرة ، العاشر ميلادي ، إلى أن الدنانير كانت تضرب في سجلماسة من الذهب ، الذي يجلب من غانة ، و منها دخلت العملة إلى بلاد السودان ولاكن بظهور دولة المرابطين ، ازدهرت العملة ، التي كانت تضرب في العديد من المدن ، كسجلماسة أغامت ، مراكش ، تلمسان ، فاس ، سبته[2]. وقد عثر الأثريون على دينار ذهبي زياني ضرب في تلمسان ، بلغ وزنه 4,57 غ ، و إن أجزاء الدينار ، هي النصف و الربع و الثمن[3].

و كانت العملة الفضية تستخدم إلى الجانب العملة الذهبية في الإمارة الزيانية و وحدتها الدرهم و كان وزنه حوال غراما و نصف ، و أجزائه النصف و الربع و الثمن و يلاحظ أن الدرهم لم يحافظ على استقراره النسبيي الذي عرف الدينار حتى القرن العاشر هجري ، السادس عشرة الميلادي ، بل أن قيمته كثيرا ما كانت تتغير ، بسبب النقص في الفضة ، و كانت قيمته تقدر بالنسبة للدينار ، الدينار مائة و عشرون درهم[4].

و كانت هناك أيضا عملة نحاسية حمراء رقيقة و غليظة ، ذات قيمة منخفضة جدا[5].

3- الصكوك :

ترك لنا إبن حوقل ، عدة نصوص و شهادات تثبت استعمال تجار الصحراء الصكوك في تعاملاتهم التجارية ، و خاصة في مدينة أود غشت ، التي ذكرناها بأنها من أهم و أول المحطات التجارية السودانية ، فهو يذكر بأنه رأى بها صكا ، كتب بدين على

(1) - يحي بوعزيز ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ،المرجع السابق،ص 48.

(2) - نور الدين شعباني، المرجع السابق ،ص 127.

(3) - خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص 28.

(4) - نفسه ، ص31.

(5) - يحي بوعزيز ، المرجع السابق ،ص 48.

أحد التجار المغاربة يدعى محمد ابن أبي سعدون ، و عليه بالعدول باثنين و أربعين ألف دينار[1]. وهي الحادثة التي يشير إلى أنه لم يسمع و لم يشاهد مثلها في المشرق ، إلى درجة أنه حكاها بالعراق و فارس و خرسان فاستطرفت[2] ، و هو دليل على أن الصكوك انفرد تجار الصحراء باستعمالها ، نظرا لصعوبة الطريق الصحراوي ، و انعدام الأمن فيها مما جعل استعمال الصكوك من طرف بعض التجار أكثر أمنا ، و حفاظا على أموالهم[3].

4- التجارة الصامتة :

إذا كانت العملات التجارية في المراكز التجارية الكبرى عرفت ذلك التطور ، فإن التجارة في المناطق الجنوبية من بلاد السودان بقيت بدائية جدا ، إلى درجة أنها تم بدون كلام و دون أن يرى البائع زبونه[4]، لأنهم كانوا يخافون الغريب ، خاصة معرفة أماكن المناجم[5] التي كانت تسيطر على مناجم الذهب ، و لا يتركون أحد من التجار يصل إليها ، حيث صنعوا خطا لا يتجاوزه من أراد أن يبتاع الذهب منهم[6]. و كان التجار المغاربة يقصدونهم قادمين من سجلماسة ، فيعبرون الصحراء على مسافة ثلاثة أشهر يكابدون فيها الحر و العطش و التعب ، و كانوا يحملون معهم جمالا فارغة من الأحمال و يعطشونها ثم يرونها الماء حتى تمتلئ أجوافها ، حتى إذا ما نشف ما في قربه و احتاجوا إلى الماء ، نحروا تلك الجمال و شربوا ما في بطونها[7] ، و كانوا يصطحبون معهم الأدلاء و السماسرة لعقد المعاملات[8].

---

(1)- ابن حوقل ، المصدر السابق ،ص 65.

(2) - نفسه ،ص 92.

(3)-le VTZ ion N chemia : I B N - hawqal **: the cheque , and awdaghost , in the jourof African hisotry** , Edited by : J.P Faber J.R Gray and Oliver . Cambridge University hirss 1968 . volume IX , w 2, p227.

(4)- القزويني ، المصدر السابق ، ص48.

(5) - عطية القيتوري ، المرجع السابق ،ص 237.

(6) - القزويني ، المصدر السابق ،ص 23.

(7) - نفسه ، ص23.

(8) - ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج 2،ص322.

و حملت تلك القوافل المتجهة إلى مصادر الذهب ، سلعا كثيرة في مقدمتها الملح المفقود عند السودان[1]، بالإضافة إلى خشب الصنوبر و خشب الأرز ، و خرز الزجاج و الأسورة و الخواتم و الحلق النحاسية[2]، و كانت الصفقات التجارية تتم بطريقة غريبة في هذه البلاد ، لما تصل القوافل إلى المكان الذي يعد خطأ حاجزا بينهم ، و بين أصحاب التبر ، عندئذ يضربون الطبول ليعلموا السودانيين بوصول القوافل[3]، ويضع التجار المغاربة ما معهم من الملح و غيره ،و يختفون عن الأنظار، فيأتي التجار السودانيون، فيضعون ثمن هذه الأشياء قطعا من الذهب ويختفون فيظهر المغاربة وينظرون في كميات الذهب هذه، فإن كانت كافية أخذوا الذهب وتركوا الملح وغيره[4]، ثم يدقون الطبول مرة أخرى معلنين حدوث التوافق، وغادروا بقوافلهم[5]، فإذا لم يعجبهم الثمن تركوا الذهب والملح، وعادوا للاختفاء ويظل الأمر هكذا، حتى يدفع التجار السودانيون الثمن المناسب[6].

وقد حاول بعض التجار مرة أن يعرفوا شيئا عن منابع الذهب، فقبضوا على أحد الزنوج وعذبوه حتى مات، ولكن دون أن يصرح بشيء، وهو ما تسبب في انقطاع هذه التجارة الصامتة لمدة ثلاث سنوات، وامتنع الزنوج عن الخروج، قبل أن يعودوا إليه بسبب حاجتهم الشديدة للملح[7].

ويبدو أن هذا النوع من التجارة، كان منتشرا ومألوفا في السودان الغربي، حيث استمر في عهد إمبراطورية مالي[8]، وحتى السودان الشرقي، إذ يذكر أن بمدينة

(1) - القلقشندي ، المصدر السابق ،ج 5،ص291.

(2) - القزويني ، المصدر السابق ،ص 23.

(3) - دونالد ويدنر ، المرجع السابق ، ص40.

(4) - ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج 2ص322.

(5) - دونالد ويدنر، المرجع السابق،ص 40.

(6) - الحريري محمد عيسى، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، الكويت ، دار القلم، 1987، ص211.

(7) - نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص 131.

(8) - جوان جوزيف، المرجع السابق ،ص 53.

(جارمي)، التي تعد مقر مملكة الحبشة،كان يباع التبر مقايضة بالنحاس، وكان الحبشيون يستعملون التجارة الصامتة، لعدم فهمهم لما يقوله الزبائن[1].

ثالثا: عوامل ازدهار التجارة بين الدولة الزيانية والسودان الغربي:

1- دور الحكام و الأمراء الزيانيين:

إن التجارة أيام الدولة الزيانية، كانت هي عماد الحياة الإقتصادية ، واعتمدت على العلاقات التي كانت قائمة بين التجار، ولم يخف على حكام تلمسان أهمية التبادل التجاري، منذ وقت مبكر لاعتقادهم أن ثروة الدولة تمكن في امتلاك أكبر كمية من الذهب ، وهذا هو التفكير الذي كان سائدا في العصور الوسطى[2]، وهذا ما يفسر محاولة الأمير يغمراسن الإستيلاء على سلجماسة، محطة القوافل في طريق جنوب الصحراء[3].

وكان أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م)، يدرك أيضا أهمية التجارة مع بلاد السودان ، كما يبد ذلك من قوله: "لولا الشناعة لم أنزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء، الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر، الذين كل أمر الدنيا له تبع، ومن سواهم يحمل منها الذهب ومنه ما يغير من العوائد، ويجر السفهاء إلى المفاسد"[4].

وفي أيام أبي تاشفين الأول (718-737 هـ/1318-1337م)ازدهرت التجارة بين إمارته وبلاد السودان، وكتب إلى جاك الثاني، ملك أرغونة (678-727 هـ/1279-1327) قائلا: "إذا قبلتم شروط هذا الإتفاق... وإذا أردتم قرضا من الذهب ، فإننا نقرضكم ما نستطيع..."[5].

ولا شك أن التجارة مع بلاد السودان ساهمت في إثراء تلمسان والتلمسانيين، إلى الحد الذي أصبح أمراؤها قادرين على منح قروض لغيرهم، وقد كان هؤلاء يراسلون ملوك

(1) - عطية الفيتوري ، المرجع السابق ،ص237.

(2) - خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص 41.

(3)- ابن خلدون ، العبر ، ج7،ص190.

(4)- المقري ، المصر السابق ،ج 5،ص206.

(5)- خالد بلعربي، المرجع السابق،ص 41.

مالي، كما ارتبط هلال القطلاني حاجب أبي تاشفين الأول ، بالصداقة مع منسا موسى ملك مالي (712-737 هـ/1312-1337م)، عندما إلتقى به في موسم الحج بمكة وقد يكون هذا الإرتباط ناتجا عن إزدهار العلاقات السياسية بين بلديهما ، كما كانت ولاشك ، نتائج إيجابية بعد ذلك في الميدان التجاري[1]، هذا من جانب الأمراء والحكام .

2- دور التجار الزيانيين:

كان لتجار الدولة الزيانية دور فعال في ازدهار و تطوير تجارتهم مع السودان الغربي ، كان ومن أشهرهم على الإطلاق في منطقة المغرب كله، عائلة المقري.

فقد كون الأخوة مقري الخمسة شركة تجارية ، وتعاملوا مباشرة مع ملوك مالي الذين كانوا يحسنون إستقبالهم، ويشجعون على ممارسة التجارة في بلادهم، وقد تبادلوا الرسائل منسى موسى[2]، الذين خاطب بعضهم "بالصديق الأحب والخلاصة الأقرب"[3] كما كان يطلب منهم تزويده ، بما يحتاجه من بضائع ، أي 'يتقصى منه مأربه"[4]، وهذا معناه أن الأخوة المقري كانوا همزة وصل بين سلاطين تلمسان وملوك بلاد السودان في المجال التجاري، وكان أبو بكر ومحمد بتلمسان، وعبد الرحمان بسلجماسة، وعبد الواحد وعلي بإيوالاتن، فكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، وذلك يرفع إله بالجل والعاج والجوز والتبر، والسلجماسي بينهما كلسان الميزان يعرفها بقدر الرجحان والخسران، ويكاتبهما بأحوال التجارة والبلدان، فاتسعت أموالهم وعظم شأنهم[5].

إلى جانب عائلة مقري ، اشتهرت عائلات أخرى، بالتجارة مع بلاد السودان، مثل عائلة العقباني وعائلة المرازقة، وكانت لها علاقات حسنة مع أمراء تلمسان، وملوك بلاد

(1) - خالد بلعربي، المرجع السابق ،ص 42.

(2) - دهينة عطا الله، العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء من القرن 6 إلى القرن 8 هـ ودور تلمسان في هذا الميدان، مجلة الأصالة، عدد خاص قسنطينة، مطبعة البعث، 1975، ص102.

(3)- المقري، المصدر السابق ،ص 205.

(4) - نفسه،ص 205.

(5) - مسعود خالدي ، الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين العاشر والحادي عشر هجريين، السادس عشر ميلادي، رسالة الدكتوراه، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر، 1428-1429هـ/2008-2009م، ص189.

السودان الذين شجعوها على ممارسة التجارة في بلادهم[1]، وقد إلتقى إبن بطوطة ، أثناء رحلته ، بعدد من التجار التلمسانيين ، وكانوا يقيمون بمالي ، ذكر منهم محمد الفقيه الجزولي، الذي كثرى له دارا هناك، وصهره الفقيه المقري عبد الواحد و إبنه، والشيخ اللبان التلمسان، الذي كان مقربا من منسا سليمان، سلطان مالي (حوالي 741-760/1341-1360) [2]، والملاحظ أن ابن بطوطة ، عند حديثه عن تجار المغرب الأقصى ، ومصر ، لم يذكر مثل هذا العدد[3].

إذا فإن هذا التواصل بين الحكام والتجار ، نتج عنه تواصل حضاري بين المنطقتين، فإذا ما عاد التجار إلى مواطنهم ، حملوا معهم عادات وأفكار وأساليب جديدة لأن السلع هي الدليل على حضارة المجتمع الذي أنتجت فيه، ومظهر من مظاهر حضارته ، فإذا اقتناها تجار منطقة أخرى لم يستمدوا منها فائدة عملية فحسب، بل تأثروا أيضا بمحمولاتها الحضارية[4].

وهكذا كانت مساهمة كلا من حكام و تجار الدولة الزيانية في ازدهار و رقي التجارة بينهم وبين منطقة السودان الغربي،التي لم تشهد ازدهارا تجاريا كهذا من قبل ،والفضل كله يعود لاختلاطهم و تعاملهم مع المغاربة وبالتحديد الزيانيين.

(1) - مسعود خلدي ، المرجع السابق ، ص 189.

(2) - إبن بطوطة، المصدر السابق،ص 233.

(3) - نفسه، ص144.

(4) - بن عمرو الطمار ، المرجع السابق،ص 205.

الخاتمة

من خلال دراسة هذا الموضوع اتضحت لنا العديد من الاستنتاجات وهي أن:

العلاقات المغربية السودانية،هي علاقات قديمة جدا وخاصة التجارية منها، وهذا بفضل موقع الدولة الزيانية الإستراتيجي ، مما ساهم في ازدهار تجارة القوافل بين الطرفين، رغم وجود موانع طبيعية تفصل بينهما.

وقد ارتبطت التجارة بين الدولة الزيانية وبلاد السودان، بنشر الإسلام وتوطدت العلاقات التجارية بينهما، بفضل فئة التجار، التي لعبت دورا أساسيا في هذه العلاقات .

إن الصحراء لم تكن في يوم حاجزا يفصل بين المنطقتين،بل عرفت هذه الصحراء طرقا تجارية لنقل البضائع، ولنقل المظاهر الحضارية، التي ازدهرت في عهد الدولة الزيانية فالصحراء كانت صلة وصل لاصلة فصل.

كما ساهم التجار المغاربة ، في ازدهار المدن الواقعة على الطرق التجارية، بين الدولتين مثل :سجلماسة، توات، اودغشت، ....، حيث أصبح أهلها وسطاء تجاريين يقودون القوافل بين الدولتين.

وعند الحديث عن شبكة الطرقات،تمكنا من معرفة الشبكة التي كانت تربط الدولة الزيانية بغيرها من البلدان،وتم استنتاج أنها كانت نقطة التقاء الطرق الرئيسية، التي تربط بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى من جهة، وبين البحر الأبيض المتوسط والصحراء من جهة أخرى، مما أهلها لتكون مركزا تجاريا هاما، منذ القرنين الخامس والسادس الهجري، الحادي عشر والثاني عشر الميلادي.

و فيما يتعلق بالرحلات التجارية ، تم توضيح المراحل الثلاثة الكبرى، التي كانت تقطعها القوافل ، في سبيل الوصول إلى أهم المدن السودانية، مثل مالي و غانة و تنبكتو وجاو ...

كما تطرقت إلى الوسائل، التي اعتمد عليها التجار، في نقل بضائعهم إلى بلاد السودان الغربي ،و خاصة منها الجمل " سفينة الصحراء " ، وبينت ما تتطلبه الرحلة من استعدادات و وسائل كثيرة ، كالتزود بالماء، و طريقة الحفاظ عليه، و الاستعانة

بمختلف الوسائل الممكنة كالحراس المسلحين ، للتصدي لقطاع الطرق ، و غيرها من أخطار أخرى تواجههم، أثناء قطع رحلاتهم الطويلة.

إن عملية التبادل التجاري بين الدولتين، قد خضعت لحاجة كل منهما، لسلع الدولة الأخرى، فصادرات الدولة الزيانية شملت المواد الزراعية و الحيوانات و المواد الأولية والمنتجات الصوفية و القطنية و الكتان و الحرير و العطور و العسل و أنواع مختلفة من الحلي و الأسلحة و العقاقير و التوابل و المعادن و أشياء أخرى مختلفة ، كما شملت وارداتها الذهب و العبيد و النحاس و المواد الطبية و التوابل و العاج و الجوز و ريش النعام ومواد مختلفة، أي أن السودان الغربي، صدر البضائع التي ينتجها، أو يحصل عليها من أواسط إفريقيا ، بينما حملت القوافل التجارية، البضائع التي ينتجها بلاد المغرب الأوسط، أو التي يستوردها من أوربا، للسودان الغربي .

و كان التعامل بين التجار ، يتم وفق اطر و مبادئ و أعراف تنظم هذه المبادلات و العلاقات ، و منها المقايضة، و التجارة الصامتة، و العملة المسبوكة، و الصكوك. وأثبتت الدراسة، إلى أن وحدة الوزن و الطول، التي كان يتعامل بها أهالي السودان مغربية الأصل.

و قد ساهم حكام و تجار الدولة الزيانية من خلال دورهم الفعال ، في نمو و ازدهار العلاقات التجارية، بين المنطقتين، وهذا بفضل تفتحهم الاقتصادي، على جميع الدول خلال ذلك العصر.

إن السودان الغربي لم يعرف في تاريخه تفتحا اقتصاديا وسياسيا وثقافيا، مثل الذي عرفه منذ أن دخل الإسلام أرضه واحتك بالمغاربة المسلمين، وبروز ممالك إسلامية عظيمة فيه كمالي وسنغاي ، والتي عرفت كيف تستغل ثرواتها ومعادنها الثمينة، في إقامة تجارة مكنتها من فك العزلة عنها، وجلب اهتمام تجار الشمال، الذي كان تجار الدولة الزيانية في مقدمتهم.

الملاحق

- الملحق رقم : 01
- الملحق رقم : 02
- الملحق رقم : 03
- الملحق رقم : 04
- الملحق رقم : 05
- الملحق رقم : 06

ملحق رقم: 01

إنتشار الإسلام في السودان الغربي

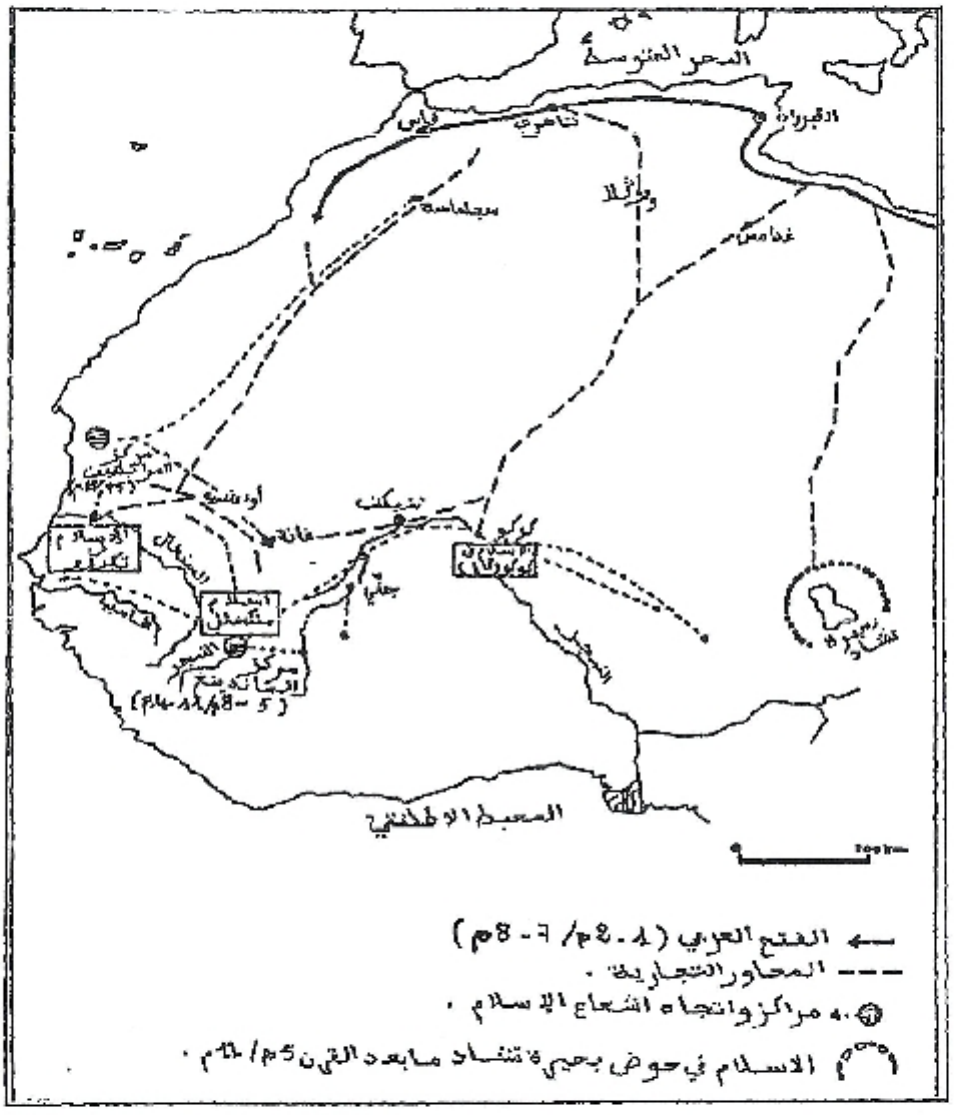

89

أحمد الشكري ، المرجع السابق ، ص89.

ملحق رقم: 02

مملكـة غانـة

(خريطة رقم: ٣)

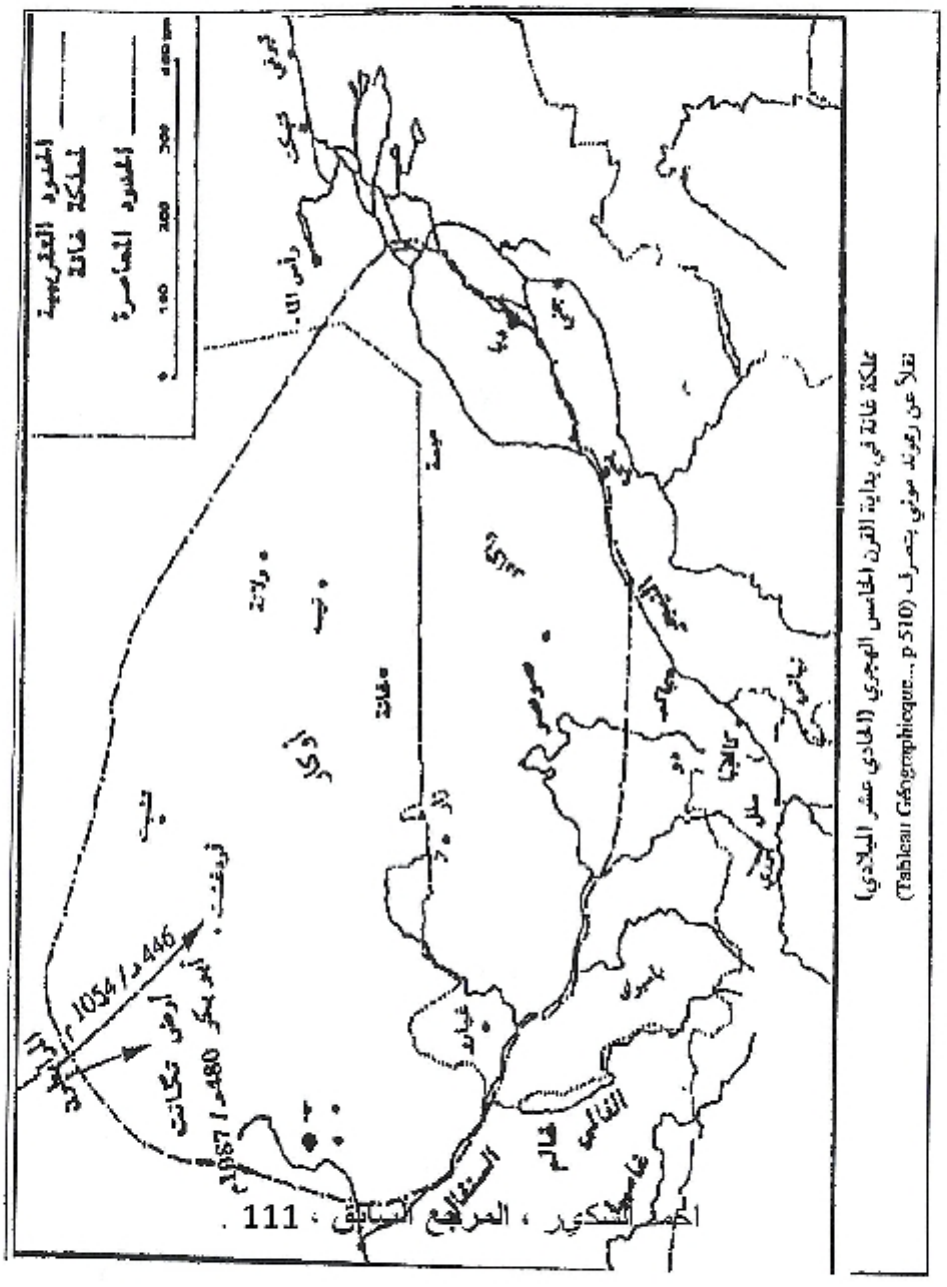

المصدر: الشكري ، المرجع السابق ، 111 .

111

أحمد الشكري ، المرجع السابق ، ص111.

ملحق رقم: 03

إمبراطورية مالي

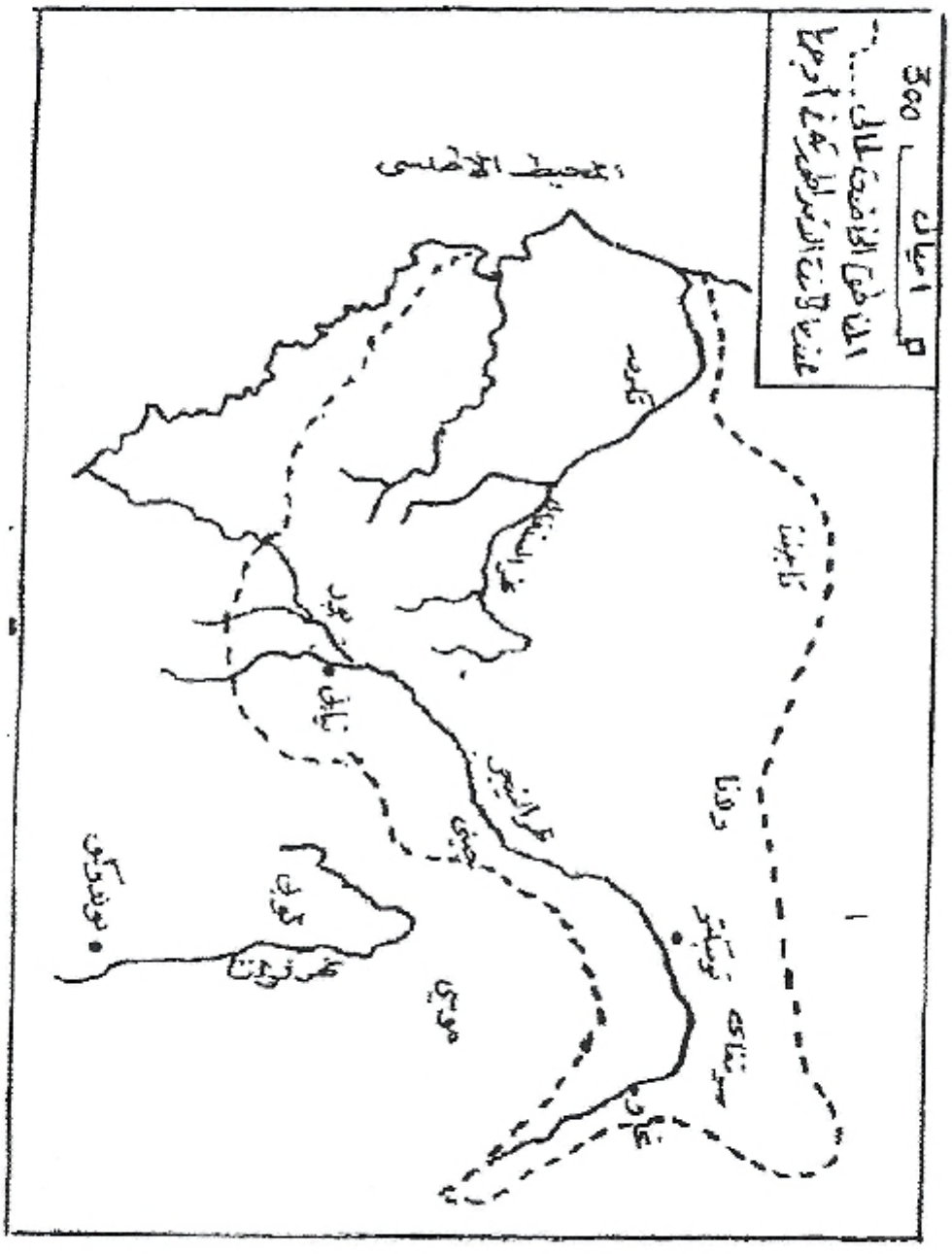

عطية الفيتوري، المرجع السابق ، ص266.

ملحق رقم: 04

بداية الصلات التجارية

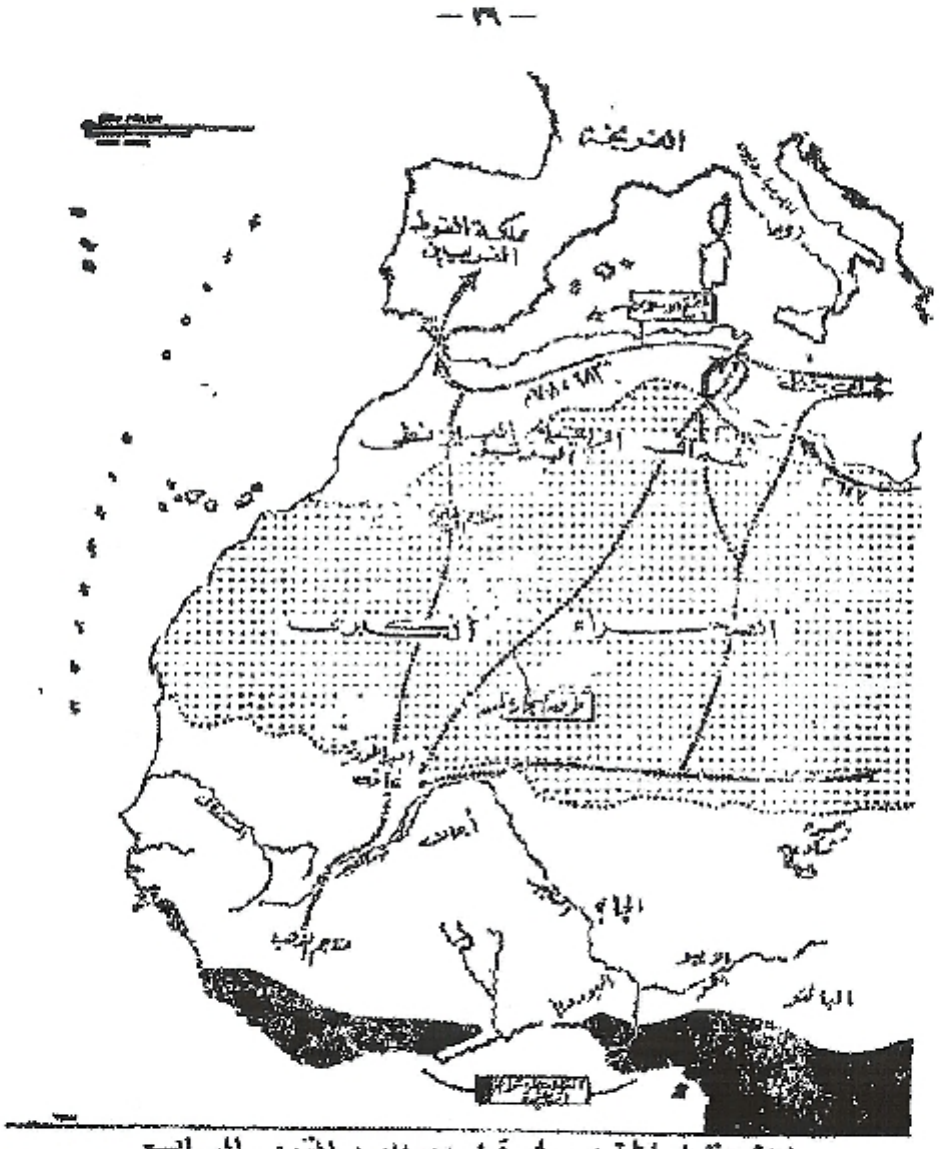

افريقيا الغربية قبل الاسلام ، القرن السابع

دونالد ويدنر ، المرجع السابق ، ص39.

ملحق رقم: 05

أهم الطرق و المراكز التجارية

(خريطة رقم: ١)

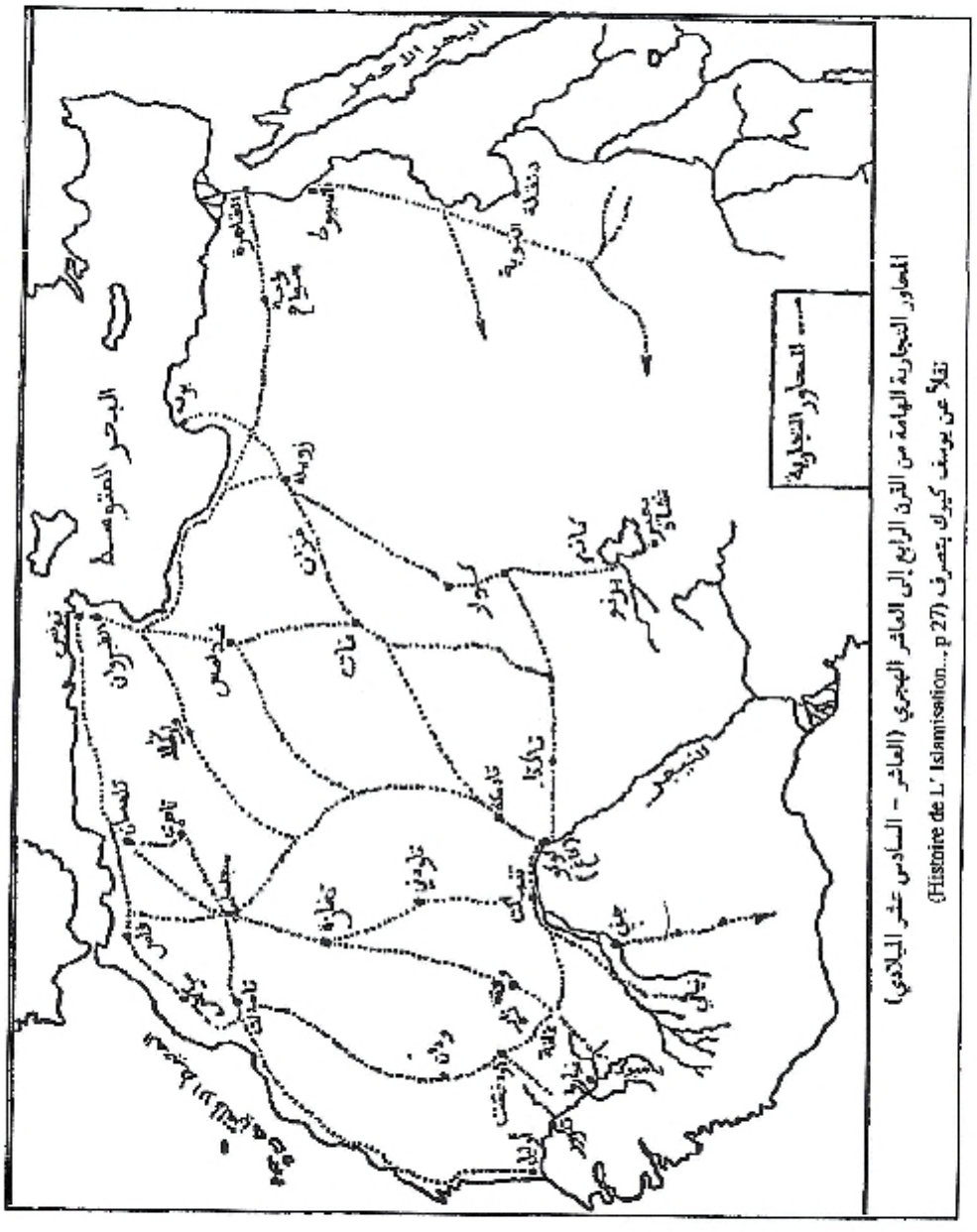

61

أحمد الشكري ، المرجع السابق ، ص 61.

ملحق رقم: 06

أبرز الطرق التجارية بين شمال إفريقيا و السودان الغربي

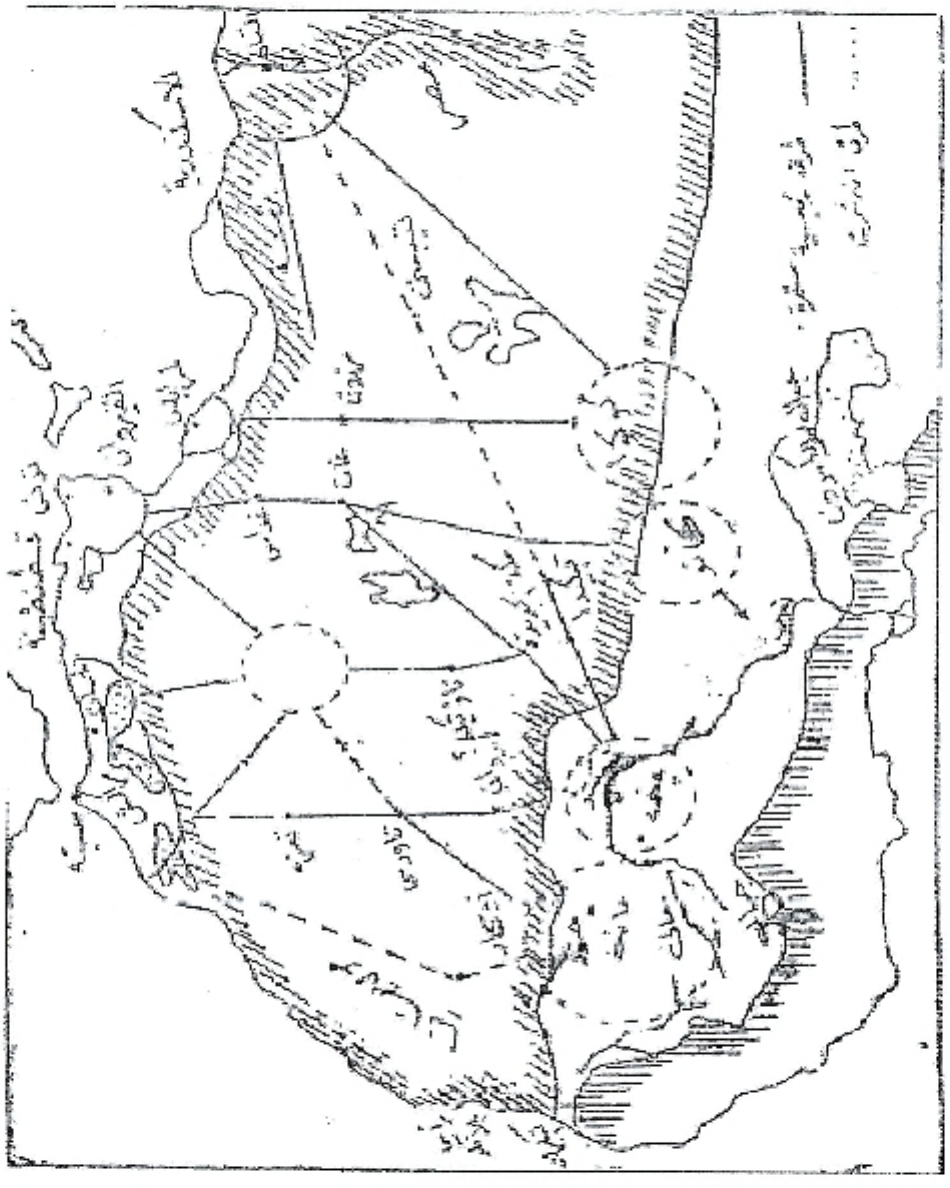

فيصل محمد موسى ، المرجع السابق، ص49.

الديموغرافيا

أولا: باللغة العربية:

1 . المصادر:

1- ابن خلدون عبد الرحمن: **كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، ج **2+6+7** ، ط 3، لبنان ، دار الكتب العلمية ، 2006.

2- ابن خلدون يحي أبي زكريا : **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تقديم و تحقيق و تعليق ، عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، الطباعة الشعبية للجيش ،2007 .

3- ابن عبد الحكم ابو القاسم : **فتوح مصر و المغرب، ج1**، د.ت، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،2007.

4- ابن الأحمر اسماعيل بن يوسف الغرناطي : **تاريخ الدولة الزيانية**، تقديم و تحقيق و تعليق ، هاني سلامة ، مصر ، مكتبة العربية ، 2001 .

5- ابن بطوطـــة عبد الله محمـــد بن ابـــراهيم اللواتي الطنجي : **تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**، ج2 ، المغرب ، المطبعة الخيرية، 1322 هـ .

6- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي : **صورة الأرض** ،دت، بيروت ، مكتبة الحياة ، 1996.

7- ابن خلدون عبد الرحمن: **المقدمة** ، اعتنى بها خليل شحاذة ، و راجعها سهيل زكار د ت، بيروت ، لبنان ، دار الفكر 1421 هـ / 2001 م .

8- ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى : **كتاب الجغرافيا** ، تحقيق و تعليق ، إسماعيل العربي ، ط 2 ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 .

9- ابن عذارى المراكشي : **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب** ،ج1 ، ط3 تحقيق و مراجعة ليفي بروفنسال ،الدار العربية للكتاب ،المغرب، 1983 .

10-ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : **لسان العرب** ج9+11،ط3،لبنان ،دار صادر،2004.

11-الإدريسي أبـــو عبد الله شـــريف: **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ، ج1، مصر مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد، د.ت.

12-الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم: **المسالك و الممالك** ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، القاهرة، 1961 .

13-البكري أبي عبيدة الله : **المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب** ، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ،بيروت، د.ت .

14-التنبكتي محمد كعت : **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس** تحقيق هوداس و ديلافوس ، باريس ، 1913 .

15-الحموي شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت: **معجم البلدان** ، ج1+2+3 ، لبنان ، دار صادر، 1995 .

16-السعدي عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران: **تاريخ السودان** ،ط 5، باريس ، نشر هوداس ، 1981 .

17-السلاوي احمد بـن خالـد الناصري : **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى** ، ج5، تحقيق و تعليق، جعفر الناصري و محمد الناصري ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، 1955 .

18-العبدري محمد البلنسي: **الرحلة المغربية** ، تقديم ، سعد بوفلاقة ، الجزائر ، منشورات بونة ، 2007 .

19-القزويني زكريا بن محمد: **أثار البلاد و أخبار العباد** ، بيروت، دار صادر،1967.

20-القلقشندي احمد بن علي بن احمد الفزاري : **صبح الأعشى في صناعة الانشا** ج 5 تعليق عبد القادر زكار ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، 1983 .

21-المازوني بن موسى : **الدرر المكنونة في نوازل مازونة** ، **ج3**، تحقيق و مراجعة مختار حساني ، مالك الزواوي ، الجزائر ، دار الكتاب العربي ، 2009 .

22-المقدسي شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، تحقيق ، د يغويه ، ليدن ، 1906 .

23-المقري احمد : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** و ذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ،**ج5+7**، تحقيق و تعليق ، إحسان عباس ،بيروت، 1968 .

24-الوزان الحسن بن محمد الفاسي : **وصف افريقيا** ، **ج5** ،ط2، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ،بيروت،دار الغرب الاسلامي،1983.

25-كار بخال مار مول : **إفريقيا** ، **ج2**، ترجمة محمد حجي ، محمد زنيبر ، محمد الأخضر ، المغرب ، المعارف الجديدة ، 1989 .

26-مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق عبد القادر بوباية ، بيروت، دار أبي رقراق2005.

2 . المراجع:

27-الحريري محمد عيسى : **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي**، الكويت ، دار القلم، 1987.

28-الدالي الهادي مبروك : **التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 1999.

29-الشكري احمد : **الإسلام و المجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230 هـ 1430 م**، أبو ظبي ، المجمع الثقافي ،1999 .

30-الفيتوري عطية محزوم : **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء**، ليبيا، منشورات جامعة قار يونس ، 1998.

31-الكعاك عثمان : **موجز التاريخ العام للجزائر** ، تقديم و مراجعة أبو القاسم سعد الله ، و آخرون ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،2003 .

32-المحيشي عبد القادر، الحريري عبد العباس ، الصالحي سعدية : **جغرافية القارة و جزرها** ،ليبيا، دار الجماهيرية ، 2000.

33-بدري محمد فهد : **الصلات بين العرب و إفريقيا** ، الأردن، دار المناهج ،2002 .

34-بن عمرو الطمار محمد: **تلمسان عبر العصور** ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1984.

35-بوعزيز يحي : – **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط** ، الجزائر، دار البصائر ، 2009.

36-**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، الجزائر، دار البصائر ، 2009.

37-جوان جوزيف : **الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء** ، ترجمة مختار السويفي ، مصر ، دار الكتب الإسلامية ، 1984.

38-جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ، التاسع و العاشر الميلادي** ،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1992.

39-حساني مختار: **تاريخ الدولة الزيانية ، الأحوال الاقتصادية و الثقافية** ، ج2،الجزائر، منشورات الحضارة ، 2009.

40-د نيس بلوم : **الحضارات الإفريقية** ، ترجمة علي شاهين ، بيروت ، دار مكتبة الحياة 1974.

41-دندش عبد اللطيف عصمت: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، 430-515 هـ ،1038 -1211م** ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1988 .

42-دونالد ويدنر: **تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء**، ترجمة راشد البراوي، مصر ،دار الجيل 2001.

43-ذ نون طه عبد الواحد ، السمرائي خليل إبراهيم، مطلوب ذاطق صالح ، **تاريخ المغرب الإسلامي** ، لبنان ، دار المدار الإسلامي ، 2004.

44-رزق محمد محي الدين،**إفريقيا و حوض النيل**،ط2،مصر،1934م.

45-روكز يوسف : **إفريقيا السوداء** ، سياسة و حضارة ، ترجمة مختار السويفي ، ط 2، مصر ، دار الكتب الاسلامية ، 1986.

46-رياض محمد:**إفريقيا دراسة لمقومات**،ط2،دار النهضة العربية للطباعة و النشر لبنان ،1973.

47-ظاهر جاسم محمد: **إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار الى الاستقلال** ، القاهرة. المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 2003.

48-عطا الله الجمل شوقي ، عبد الرزاق عبد الله : **تاريخ المسلمين في أفريقيا و مشكلاتهم**،القاهرة ، دار الثقافة ، 1996 م .

49-فرج محمد فرج: **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1977.

50-فيج جي دي : **تاريخ غرب إفريقيا** ، ترجمة ، السيد يوسف ، القاهرة ، دار المعارف ، 1982.

51-فيصل محمد موسى : **موجز تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر**، ليبيا، منشورات الجامعة ،1997.

52-نياني ج . ت ، : **تاريخ إفريقيا العام** ، ج4، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ،1988 ·

53-هاردي روجر إدريس: تاريخ إفريقيا العام ، الجزء/ 4 ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1988.

الميلادي،رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات بين السودان الغربي و المغرب الإسلامي جامعة الجزائر ، الجزائر،1426-1427هـ/2005-2006م.

68- غربي الحواس،**السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591-1660م)**،مذكرة ماجيستير غير منشورة،جامعة الجزائر،2010م.

ثانيا: باللغة الأجنبية:

1 . المراجع:

69- Chailly Marcel , **Histoire de l'Afrique occidentale**, Paris,1968.

70- M, GR, AHACKUARD, **monographie Tombouctou société des études**, Coloniales et maritimes, paris ,1990.

71- Trimingham j spencer, **ahistory of Islam in West Africa**, oxford, iniversity presse, 1970.

72- Devis, **Route de commerce et échange en Afrique occidentale en relation avec la méditerranée**, dons revue d'histoire économique et sociale, paris, 1972

2 . المقالات و البحوث:

73- Gaynicolas, **levacimment ethnique de l'islam au sud du Sahara,**Étude comparée in cahiers d'études africaines vol-18, cahier 71Èchés, 1978.

74- Le Vtzien Nehemiah: IBN-HAWQAL, **The claque and Awdaghostln: The Journal of African history**, edited by: J.D Fage and J.RGray and Oliver, N 2.

الفهرس

- إهداء.

- شكر وعرفان.

- مقدمة.....أ- ذ

الفصل الأول : الدولة الزيانية والسودان الغربي دراسة جغرافية و بشرية (12-37)

أولا : نشأة الدولة الزيانية 12-16

1- أصل بني عبد الواد.....12

2- استقرارهم بتلمسان.....13

3- يغمراسن وقيام الدولة الزيانية.....13-14

4- حدود الدولة الزيانية.....15-16

ثانيا: السودان الغربي.....16-24

1- التسمية التاريخية.....16-17

2- الموقع الجغرافي.....18-24

ثالثا: انتشار الإسلام و قيام الممالك الإسلامية.....24-37

1- انتشار الإسلام.....24-30

2- قيام الإمبراطوريات الإسلامية.....31-37

الفصل الثاني : التجارة بين الدولة الزيانية و السودان الغربي (39-50)

أولا : واقع التجارة في كلا منهما.....39-45

1- التجارة في الدولة الزيانية.....39-40

2- التجارة في السودان الغربي.....41

3- بداية الصلات التجارية.....41-45

ثانيا : الحواجز التجارية و مواجهتها.....50-45
1- العراقيل المواجهة للتجار.....48-46
2- مواجهة التجار للصحراء.....50-48

الفصل الثالث: الطرق والمراكز التجارية (52-63)

أولا: مراحل الطرق التجارية.....56-52
1- المرحلة الأولى.....54-52
2- المرحلة الثانية.....56-54

ثانيا:المراكز التجارية.....61-56
1- مراكز الدولة الزيانية.....58-56
2- مراكز السودان الغربي.....61-58

ثالثا : أهم المحطات التجارية.....63-61
1- سجلماسة.....62-61
2- تـوات.....63-62
3- أودغشـت.....63

الفصل الرابع: المعاملات التجارية (65-83)

أولا:السلع التجاريـة المتبادلـة.....75-65
1- واردات السودان الغربـي.....70-65
2- واردات الدولـة الزيانيـة.....75-71

ثانيا:نظم التعامل التجاري.....81-75
1- المقايضـة.....77-76
2- العملـة.....78

3- الصـــكوك.....78-79
4- التجارة الصامتة.....79-81

ثالثا:عوامل ازدهار التجارة بين الدولة الزيانية والسودان الغربي.....81-83
1- دور الحكام و الأمراء الزيانيين.....81-82
2- دور التجار الزيانيين.....82-83
. خاتمة.....85-86
. الملاحق.....88-93
. البيبليوغرافيا.....95-104
. فهرس الموضوعات 106-108